نقرات ودقات على الحافة

ثيام احمد علاء

اسم الكتاب : نقرات ودقات على الحافة
اسم الكاتب تيام احمد علاء
رقم الإيداع : ٢٠١٨/٢٩٨٢
الترقيم الدولي:**٩٧٨٩٧٧٨٣٥٠٣٥٧**
الطبعة الأولى : ٢٠١٧- الطبعة الثانية :٢٠١٨
صادر عن : مؤسسة زحمة كتاب للثقافة والنشر
١٥ ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة

www.za7ma-kotab.com

دار زحمة كتاب للنشر

za7ma-kotab@hotmail.com

٠١٢٠٥١٠٠٥٩٦

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
لمؤسسة زحمة كتاب
المشهرة قانونًا بسجل تجاريّ رقم / ٨٤٤٨٦
عضوية اتحاد ناشرين رقم ٨٢٢

أي اخطاء لغوية برغبة وعلى مسئولية الكاتب ولا يوجد على دار النشر اية مسائلة فنية او قانونية في هذا

في صباح يوم من أواخر شهر سبتمبر بهذا العام كان " ك " يتمشي دون هدي ويتدبر فيما يريده الآن من وجوده . ورغم أنه قد أقر لنفسه مذ سنوات تعد علي أصابع اليد الواحدة أنه رجلا مرهق الوعي يضنيه كل هراء فكري وما شابه ، إلا أنه كان يستجدي ذهنية منبثقة من الخواء . ولما ألفي محلا للتصويرعرج عليه ودفع الباب الزجاجي .

القمر القمر لا أراه بديعا كما يصورون .. خيبة لا أستطيع تجاوزها . أأبكي وفي الفعل تجّد الراحة ، أم أني به أوغف من حمية تعلق أبغي نزعه ؟

المعضلة هي أنك عندما تبني لنفسك تصورات خيالية في المستقبل وتمهد لها بناء علي تجاوزات تتخطاها وتحس أنك ستستمر في الرقي إلي أن تصل لهذا التصور الخيالي الذي شردت في ترسيخه أوقاتا . ثم إذ بك تفشل في أحد خطواتك فتعجز عن الوصول لمرادك الذي تعلقت به وعيا ولا وعيا . فتقول لنفسك ما كان حالي ليرتاح لو كان هذا ليتم . أهذه تعذية فقط وحمل نفس علي ذاك ، أم أنها حقيقة تقرها . حسنا سأبني كل شيء من نقطة الصفر .

فيما مضي كنت أحاول أبين مدي إستسخاف كل شيء وسذاجته عندي . والآن أفكر أليست هذه المحاولة سخيفة ، فما غايتها . نفس تنزع إلي الخواء . نفس تنزع إلي الخواء . كانت إضافة لإجابة لي علي سؤال شخص كان عابرا في حياتي . '' لمه تشرد كثيرا ، بماذا تكون أثناء الشرود ؟ ''

قلت بعفوية ولم تكن إجابة هيأت لها مسبقا : '' أنني عندما أشرد لا أفكر ، أكون في خواء عن التفكير . أو أني أسعي فعلا نحو الخواء وأجد فيه راحة لذهني . ''
حاول أن يقول شيئا لم أفهمه لأني كنت أركز في التفكر فيما قلت للتو فإذ بي أضيف : '' سمها نزعة إلي الخواء . ''
- أعملت في الصحافة من قبل ؟
- لا .
وفي منحني آخر من حديثنا قاطع إسترسالي المضطرب في محاولة لإيضاح مقصدي من الشعور بالخواء عند تأمل لوحة تشكيلية ما وأيضا في فعل متسلق الجبال وعازف البيانو المتمكن دون أن يتم تحليل ذلك : '' جزر أم ماذا ؟ ''
حينها نظرت في عينيه ، فأعتذر أنها ألشة سخيفة . سألته أن كان هذا أسلوبا متبع في التحليل النفسي فرد أن لا . وهو طبيب نفسي وحوارنا ذلك كنت أتقلقل أن أندم لاحقا أني خضته . إلا أني لم أفعل . ربما توهمت ولا أدري ما دافع ذلك في نفسي إلي أنه يحاول أن يحللني . وكنت مخطئا لأن أسئلته المحيرة تلك يسألها لكل من يحاوره أي أنها أسلوبه في الحوار . أو لا يكون .
أنه رجل منفطر القلب ، لا تلمسوه . في حاجة إلي أيام من الخواء ليتجاوز ما مر به توا .. لكن كيف هذا ؟
أنه يدعي بلادة ذهنه المتقد . لقد تعلق بمكان ما وأعتمد أنه سيقضي به سنواته القادمة وما يترتب علي ذلك من تغييرات في حياتي . ولكنه فوجيء أن أسمه ليس بقائمة المرشحين من الإختبار الأخير الذي يلحقه بهذا المكان . فتخيل أنه وفي صبيحة جميلة من يوم شتوي سيقف في وسط هذا المكان ويخرج خنجرا

قد خبأه وينحر نفسه دون أي تمهل أو سبب غير أنه خطر له ذلك . وها هو قد تجنب هذا المصير . ولكنه إلي الآن يتعامل مع نفسه كرجل منفطر القلب . ورغم هذا فهو لا يحتاج في لحظته الحالية إلي حضن امرأة .. ربما قبل أيام، أي في آخر أربعة سنوات كان لهوفا لذلك وينكر هذا أمام نفسه في آخر سنة . لكنه الآن سيشعر بقدر من التدهور لو حدث أن أحتضنته المرأة هذه .

لقد سد سبيلا كان يأمل أن يسير فيه . فليخلق لنفسه سبيلا آخر وأن أعضل . هذا أو ليستنم إلي نفسه شتاء آخر .

لقد تلقي خبر رسوبه منذ يومين . ويحاول الآن الإنشغال بشيء آخر ليعينه علي تجاوز كل هذا . وسيعش حسب راحته . أي أنه الآن رجل منفطر القلب . لا تلمسوه كيلا ينهار .

ولج "ك" محل التصوير . نظر إلي المستقبل المشاهد للتلفاز الديجتال . '' لو سمحت عاوز أتصور . ''

- لمه الصور ؟

- صورا عادية .

- لا لشيء محدد ؟

- لا .

- اتفضل اقعد .. المصور في الخارج وسيرجع الآن .

جلس ك علي الكنبة القطنية ، ونظر لحظة للمكيف . '' سأنتظر كثيرا ؟ ''

- نعم ؟

- أقول لك سأنتظر كثيرا ؟

- لا . عشرة دقائق بالكثير ، وسيجيء المصور .

أنشغل ك بمشاهدة التلفاز حتي ناداه المصور الحاضر : '' اتفضل يا أستاذ . ''
تبعه ك علي السلم نحو سقيفة الأستوديو . أشار له بالجلوس أمام الكامير : '' خذ راحتك . ''
جلس ك أمام الكاميرا وتنفس في تودة . '' لو سمحت .. أريد ألا يتم تعديلات في الصورة علي بشرتي . ''
- حاضر .. لمه تريد الصور ؟
- لا لشيء معين . مجرد صور شخصية .
- لا صور عندك فقلت تستخرج صورا جديدة لكي تستخدمها ؟
- شيء مثل ذلك .
- انظر للكاميرا .
نظر ك لعدسة الكاميرة كما طلب . أضاف : '' ضحكة بسيطة . ''
لم يفعل ك . '' ابتسم للكاميرا . ''
- لا أريد .
- ولمه ؟
- أريد الصورة هكذا .. بهذا التعبير .
- لا ينفع ، لازم تبتسم في الصورة .
- وعلامه أبتسم .
- أبتسم بشكل عادي كيلا تكون متجهما في الصورة فقط .
- لا ، أريدها هكذا لو سمحت .
- لا ينفع أقول لك .
- أأنت من ستتصور أم أنا .
- أنت ، لكن علي الأقل ابتسم .

نهض ك مغادرا . " إذن صور الكرسي وهو يبتسم . "
ونزل السلم الحلزوني وغادر دون أن يلتفت للمستقبل . تنهد وتمشي مكملا طريقه . نغصة كتلك تعكر صفو يومه ، ليته ما قرر أن . ركل حجرا صغيرا عبثا بقدمه وراقب تدحرجه .. إلا أنه لم يرد العودة . سيسير قليلا حتي يتناسي تلك النغصة .
دخل ك كافيها ما ، وقلب عينيه للحظتين . أتجه نحو البار وألقي نظرة نحو المكيف ، وجلس . " كأس ويسكي لو سمحت . "
- متأسف ، لا نقدم مشروبات روحية هنا .
- طيب . هات لي عصير جوافة لو سمحت .
تطلع من مجلسه لمرتادي المكان . وقع علي فتاة تجلس منفردة . نفخ وقام متجها لطاولتها . أقترب منها . " أمنتظرة أحدا ؟ "
- إيه ؟
- أقول لك أمنتظرة أحدا ؟
- لمه ؟
- أتسمحي أن أقعد معك ؟
- وما المناسبة ؟
وصرفت وجهها عنه . ظل للحظات واقفا جانبها . لا يود الآن محادثتها ، لكن رجوعه المرتبك لمقعده عند البار . ألتفتت مجددا إليه . " الإثنين من البشر الغير متعارفين ، كيف يتعرفا إلي بعضهما . إلا أن يخطو أحدا منهما خطوة نحو الآخر . "
- لا أريد أن أتعرف عليك أنا .
- قدري علي الأقل جرأتي .. أم أنك ممن يتبعن نظرية التعالي علي جميع الشباب عند الإهتمام بك باعتبارهم مجرد حكاكين .
- صاحبتي ستجيء بعد قليل .. تفضل مثلما تريد إلي أن تجيء .

جلس ك ، وأقترب النادل من الطاولة وسأل الفتاة : '' أشيئا يضايقك يا افندم ؟ ''

- لا .

بعد ثوان من صمت : '' أسالك عن شيء يضايقك علي أساس أني لو كنت أضايقك لتصرف هو ؟ ''

- نعم .

أضافت بعد لحظتين : '' العفو . ''

- العفو علامه ؟

- علي أنك شكرتني .

- لكني لم أشكرك .

- بإعتبار أنك شكرتني .

- أشكرك علي أنك لم تقولي له أني أضايقك ؟

- نعم .

- وهل أضايقك ؟

- سنري .

- ماذا كان سيفعل مثلا ؟

لم ترد . '' سيخرجني .. يطردني من هنا ؟ ''

- ممكن .

- وهذا يستحق أن أشكرك عليه .. أنك جنبتني هذا المصير .

- أهظر .

- لكني متفهم تعاليكي .. لا تفكري أني من الشباب المغتاظين من تعالي امرأة مثلك .

- أي تعالي .. لم تتكلم هكذا ؟!

- أنا خارج من السجن الشهر الفائت .

- والسجن يجعلك تتكلم هكذا ؟
- لا أقصد .. أقولها لك كمعلومة .
- وما يهمني أنا في معلومة كتلك .
- بداية حديث . ما لها علاقة بالسخافة التي كنت أقولها .
- أي سخافة ؟
- تعالي المرأة وهكذا .
- ماذا تعني بتعالي المرأة ؟
- .. انسي ، لا يهم .
- تكلم مثلما تريد .. لمه كنت في السجن ؟
- المفروض أني كنت مسجون سياسي .
- هذا المفروض ، وما الغير مفروض ؟
- اني بريء . وسجنت أربعة سنوات بلا سبب .

أنتظر ك أن ترغب في أستوضاح ذلك ، وتأخرت الفتاة . لوي شفتيه . وأشار نحو البار للنادل أن يحضر العصير علي الطاولة . سألته متأخرة بعد إنتظارها أن يكمل كلامه : " كيف ؟ "

أنعدل ك وأسند مرفقيه علي الطاولة " منذ خمسة سنين .. في أيام حظر التجول والمظاهرات والفوضي . كنت راجعا للبيت بالليل .. وأنا أمشي رأيت علبة بخاخ بوية مما يكتبوا بها علي الجدران يسقط وهكذا .. أمسكتها وكتبت بها علي السور . "

- ماذا كتبت ؟
- لا لعودة الأخوان ولا لحكم العسكر فلتحيا الفوضي الخلاقة .
- يعني ؟
- لا أعرف .
- ولمه كتبتها ؟

- مجرد جملة خطرت لي كدعابة لمن يقرأها فكتبتها علي أساس أن من يراها.. أي أني أسخر مما كان مكتوبا علي الجدران بكثرة لا أكثر .

- ثم ؟

- جنديين أقتربا مني وكلماني ثم قبضا عليَّ ، وحبست .

أحضر النادل عصير الجوافة في كوب زجاجي ضيق من الأسفل بإتساع عند أعلاه . '' ولمه لم تقل لهم أنك كنت تهزر ؟ ''

ضحك ك بخفة ، وكانت ضحكته لطيفة . '' لما لم أقل لهم أني كنت أهزر ! ''

- وبعدها ؟

- حققوا معي ، وحبست فترة طويلة .

- وبعدها ؟

- حشرت وسط مجموعة مخربين في قفص الإتهام . وطبعا القاضي كان همه أن يمنحني حكما وينتهي . فمنحني خمسة سنوات .

- لا يعقل .. أكيد في الأمر غلطة .

- غلطة كماذا مثلا ؟

- ألم تقل لهم أنك ما قصدت .. أكيد كان في الأمر سببا .

أكتفي ك بإبتسامة وسحب الشفاطة من الكوب وتجرع منه . وكانت أول ما ورفه منذ صحوه قبل منتصف الليل . '' أنا مسافر غدا للغردقة . أعرف شخصا سيشغلني هناك .. أزورتها من قبل ؟ ''

- صاحبتي جائت .

أقتربت فتاة أخري من الطاولة . " صاحبتي التي كنت أنتظرها . "

- طيب .
- قم .
- لا .
- إيه ؟
- لن أقم .
- ما معني لن أقم !

اشارت الفتاة الأخري لصاحبتها : " تعالي نقعد في مكان ثاني . "

- أنا قاعدة هنا من قبله .. انتظري لما يأت الجرسون هذا لهنا .
- تعالي نقعد علي طربيزة هناك ، وسيبي له الطربيزة يشبع بها .

تبادلت الفتاة مع ك نظرة ثم نهضت وخلفته . وتجرع ك من الكوب الزجاجي ، ثم رشف من الشفاطة حينا . الفتاة بظهرها تقابله ، والمكيف يوتره ، وأنفاسه تنهدات . نظر نحو البار ، ووضع خمسة جنيهات تحت الكوب ونهض . وعندما غادر الكافيه كانت أشعة الشمس قد عمت فستر براحته عينيه ، ولم تكن أشعتها حامية . رجع ك مباشرة إلي منزله . صعد درجات السلم ، وفتح باب شقته . مر إلي غرفته . سمع نداء والده قبل أن يدخلها ، فخطي إلي غرفته ، ووقف ببابها . وجده ممددا علي الكنبة يسمع مقرء للقرءان من هاتفه . " حسن أمام مات . "

- من ؟
- حسن أمام صاحبي . ألا تتذكره ؟
- .. الذي كان يدخن كثيرا ذلك ؟

- توقف عن شرب السجائر منذ.. عشرة سنوات . مات قبل البارحة بسكتة قلبية .
- البقية في حياتك .
وتوجه لغرفته ، وأغلق الباب . خلع ملابسه حتي العري وومق في الفراش . ملاءة السرير نظيفة وناعمة ، والبطانية مغسولة لا رائحة فيها . وغفي بلذة . حلم بفشله في الإمتحان المبهم . وأفاق ، وتمطي . أستحم وأكل ، وتملي غرفته . أعد كوب شاي باللبن . وخطر له أن يعتصر ليمونة عليه . حاول أن يشربه لكنه كان متمخضا ، دلقه في الحوض .
قبل إنطلاق العربة إلي الغردقة أنسلت امرأة منقبة بالسواد تتسول صدقة . ناولتهم علب عصير . وعادت للمها ممن لم يخرجوا من جيوبهم . خاب مسعاها في أن تجمع قوت يومها ، أبانت من تأنناتها . '' أتساعدني يا كابتن .. بالله عليك . ''
أخرج ك من جيبه ليناولها خمسة جنيهات . عينين عسليتين . أمسك بورقة من فئة المئتين جنيه ومدها أمامها . '' أتريدينها ؟ ''
أومئت في ضعف . '' ارِيني وجهك وسأعطيها لك . ''
تناهت بعض همهمات مستنكرة . لم يلتفت لها ك . بعد أن أعجزها التردد لثوان . رفعت نقابها وأبانت وجهها للحظة فقط . أنتزعت العملة منه كحق لها . '' حسبي الله ونعم الوكيل فيك . ''
ونزلت ، وانطلقت العربة . '' من لديه مشكلة معي ، يمكن أن نطلب من السائق أن يوقف العربة ونحلها في الخارج . ''
لم يجيبه أحد ، ولم يحدد من يغمغم .
أول يوم في المدرسة الإعدادية .لا أدري ما كان بي . أسندت رأسي لذراعيَ علي التخت ونشجت في البكاء .كان سأمي طافحا،

ولم أكن ضعيفا عند التغيير . لما زاد عن أسبوعين كنت أنشج في خفية . حينها كان ولفترة نوعا من الترويح حين أستشعر ضغطا . قابلتني بخيالي فوجدتني جذابا للتقرب . هذه العينين واجهت نظرتها . أقشعر منكباي ووليت وجهي جهة مغايرة . رمصت إليه مرات فوجدته قامصا يقف بجنبه يختلس إليَّ من حين لحين . لكمت كتفه بخفة فابتسم . خطي فجاورته ومشينا صامتين . في غرفتي أحتضنا لساعات . تواجَدنا في منلوج كنا مداره : '' أيمكن أن أشبع حاجتي للمشاركة بوجودك . إذا كان هذا ، فإن الحاجة الملحاحة ليست لوعي مغاير بل إلي جسد آخر فقط أقوم به وحدتي . جسدا أحتضنه كما الآن . وأنت جسدي . وبعزلتي أكتفي بنفسي أي بك ، إلم تكن نفسي واحدة ، هذا ما كاشفني . فلست في حاجة لوعي آخر . لست في حاجة إلي صديق . أو امرأة منيفة تحتضنني ، أستجدي منها شبعا لحاجتي في الحياة ، بك . ''

أستمنينا معا . شعرت بالسكينة وأنا أسجل في يومياتي لوجوده هنا بالغرفة . كنت أدون علي الأوراق وحسي أنه في موضعه كائن . أرفع عيناي لألمحه منشغلا بشيء ما . نفس الذاكرة ، نفس الإدراك . ما أفكره الآن يتفكره . لست أصليا وهو تقليدا . أننا كياني أنا . جاوزنا كل السخافات . ونعلم أننا مرهقين ، لا نغترض من وجودنا .

عندما كنت مراهقا كان لدي تصور عذب عن المعاناة . الآن أقر أني حينها كنت مفرط العاطفة ؛ فمهما حاولت لا أقدر علي إيهام نفسي بغاية ما أناه الآن . لقد خدعت من قبل السينما بأن صورت

لي حياة الحاجة للمال والتشرد جمالا . أنها رجلا يجص في رباط العجز .

همت في نوم وأنا مقرفص تحت دفق قطرات الدش كنت حين سمعت رنة الهاتف . أن قصتي الهائفة التي كتبتها منذ ثلاثة سنوات حققت المركز الثاني بمسابقة للقصة القصير بمجلة ما . إذن سيكون معي عشرون ألف جنيه . وستنشر القصة كمركز ثانية من الأربعة في المجلة مع أراء نقدية . وسأسافر يوم السبت للقاهرة لحضور ندوة وتسلم الجائزة وكل هذا . ورجعت لموضعي تحت الدش وأغمضت عيناي ، ورحت أتأمل في دعة كل شيء . هذا ما كنت انتظره وإلم أكن قد حددته ، والآن .

امرأة عارية تتمشي في صحراء مقفرة ، وفي الليل لا تري العينين ، حتي العينين لا تُري في دغشته بإنعكاس سني القمر. تفرك بأصابع قدميها الرمل . حتي تطيب إلي موضع فتتمدد لترنو للنجوم . هي مرتاحة مأمنة . لأن لا أحد يمكن أبصارها . ولو لم يكن أحدا هنا ولكن يمكن كشفها بالعين إن وجد فرضا لما أطمئنت هكذا ، تخاطر نفسها بهذا . ثم فجأة تتذكر أن الشمس مبينة جسدها بعد ساعات . تغمض جفنيها وترجو أن تكون في حلم تفق منه . تغفو في النوم . ولما تصحو تجده الغروب ، ويروقها حلول الليل من جديد . تحاول رفع رأسها إلا أن شعرها متعلق بالرمل . تشده لكن تصدم أنه من أطرافه متجذر تحت الرمال . تظل تحفر ولكن بلا فائدة . وتكاد تنهار . وتعزم أن تقصه عند الكوافير في أقرب فرصة . فإذ بشعرها قد قص في لحظتها وتحررت . وستستمتع بسترة الليل المقبلة . وهي لم تأكل منذ أربعة أيام ، ومكتفية بدعسة الليل كمشبع .

سأله ك : '' وهذا الدفتر ؟ ''
أجابه : '' المفروض تسجل به كل من يدخل البرج . ''
- وكيف أعرف وأنا جالس هنا كل من يدخل من الباب ويمر أمامي ؟
- لا تشغل بالك به . فقط افتح صفحة اليوم ووقع حضور عند الستلام ، وإنصراف عند إستلامي منك المكان . لا أكثر .
- وما نفعه ؟
- لا لازمة له .. إن أردت أنت أن تسجل به الداخلين والخارجين فأفعل .
- وكيف أعرف أسمائهم .. أأوقف كل من يدخل ويخرج لأسأله أسمه !
- قلت لك لا .. تصرف كما تريد . يوما وراء آخر ستتعرف علي السكان وأصحاب المكاتب والعيادات جيدا . وإذا أردت تدوين أسمائهم عند حضورهم وخروجهم من البرج فأفعل لكن لا داعي...
- فهمت فهمت .
وأشار لجهاز الأنتركم في الجدار علي يسار الجالس : '' وإن ناداك أحدا من السكان فأضغط هنا لترد عليه . ''
ناوله مفتاحا : '' الغرفة فوق السطح ستسكن بها . كنت أنام فيها أحيانا أنا ومن كان قبلك . لِكن الآن ملكك حتي تجد مكانا آخر إن أردت . اطلع نام فيها ، إلي موعد ورديتك .. الساعة الثامنة بعد صلاة العشاء تستلم مكاني هنا . ''
- ماشي ، شكرا .
- أصعد أولا للأستاذ حمدي .

- طيب .
صعد ك للدور الأول ودخل المكتب الجانبي . '' تمام يا أستاذ حمدي . أراني ما سأفعله . ''
- تعالي امضي هنا .
جلس ك إلي المكتب وقرأ التعهد ، رفع عينيه . '' لا تخف . مجرد ورقة .''
وقع ك ونهض . '' ماشي يا أستاذ حمدي .. ''
- لو أردت شيئا تعالي إليَ . أنا أقعد هنا من الساعة العاشرة للواحدة كل يوم عدا الجمعة .. إن شاء الله سترتاح هنا .
- إن شاء الله .. يوم الجمعة سأسافر لآتي بشنطة ملابسي وهكذا .
- يوم الجمعة عندك شغل قلت لك ، ليس إجازة .
- أعرف . كاستثناء بعد أذنك .
تفكر هذا قليلا . '' لمه لم تجلبها معك وأنت آت ؟ ''
- لم أكن ضامنا أني سأشتغل .
- ولمه جئت ؟
- أقصد كنت أظن أني سأري العمل وأستقر أولا ثم أهيء نفسي . ألا ينفع أن أغيب يوما واحدا ؟
- لا أعرف .. يوم الجمعة . صعب . لازم وجودك بمدخل الإستقبال .
- طيب ، سأتصرف . شكرا .
غادره ك . رقي بالمصعد ، وتنفس بتأن . ثم خرج منه وخطي عتبتي سلالم إلي السطح وفتح طرباس بابا خشبيا ، ورأي آخر من جهة الداخل فأوصده . طالع السطح وشعر بعلو البناء . غرفة مربعة في الركن علي يساره . مضي نحو السور ، وأبصر البحر

علي مبعدة . وحينها سحب نفسا من أنفه حتي ملء رئتيه وزفره بتلذذ . الآن يرنو إلي أديم البحر . سيشبع منه لاحقا . توجه لغرفته وفتح القفل بالمفتاح ودخلها . سرير فرد وشماعة ملابس ووبور وكنبة أسطنبولي ، كور قبضته غيظا عند عتبة الباب . لن يستطع أن ينام علي هذا الملاءة والوسائدة أو أن يتغطي بهذه البطانية ، حتي الكنبة لابد من تغير مفرشها . نفخ وقرر أن يشتري ملائات وخلافه . أجرة السفر والمئتين جنيه وطبق فول ، المال يتناقص كالسائل . عندما مدها له بابتسامة الشهر الماضي '' اخرج وبر نفسك . ''

أخذها وفي صدره لعجة أنه قبلها . سيتصل عليه ليلا ليخبره أنه قد سافر ووجد عملا هنا . نزل إلي الدور قبل الأخير وهبط المصعد به . خطي نحو كاونتر الإستقبال .'' ها . أتريد شيء ؟ ''

- أريد شراء ملاءة للسرير علي السريع .

- ما لها الملاءة . نظيفة ليست وسخة .

- من أين أشتريها ؟

قام وخرجا من البرج وأشار له : '' آخر هذا الشارع امشي يمينا ، ستخرج علي شارع رئيسي . اسأل أي أحد وسيدلك . ''

- شكرا .

أضاف : '' وهات لي بإثنين جنيه لبان معك بالمرة لو سمحت . '' رمقه ك . فأدخل الآخر يمناه بجيبه . '' لا أنظر لك لهذا .. أنا أنظر لك.. ''

- إيه ؟

- لا شيء .

- خذ .

غمغم ك مبتعدا : '' خلاص ، لا يهم . ''
نفخ بضجر . لن يرتاح مع هذه الوره أبدا . سار حتي إنعطف يمينا وسأل أحدهم بتلعثم وتقطيب . فدله يمينا ويسارا . سأل آخر فاعتذر بعدم المعرفة . سأل الثالث فجاء وصفه كالأول . مشي متبعا . وسأل آخر فدله . أراد محلا فدلوه علي مول . الشتاء يمهد محضره . كز علي أسنانه . أشتري ملاءة للسرير خرج بها في كيس بعد عشرة دقائق من المبني . كفلاح كفلاح يجاري يجاري أقل أقل مستوي مستوي .
عاد للبرج وتوجه مباشرة للمصعد . رقي المصعد به ، وتنفس في تأن . صعد عتبتي السلالم ، وعاد للسطح . قارب السور وشخص عينيه في البحر الممتد . دخل الغرفة وسحب ملاءة السرير وطوحها خارجها ، ووضع الوسادات علي الكنبة . أخرج الملاءة الجديدة من كيسها ، خضراء كالزرعة . شمها مرات ثم فرشها علي السرير . كور ملاءة السرير القديمة خارج الغرفة في الركن ، وجلب من غرفته الوبور وبراد الشاي والأكواب وخلافه ووضعهم عليها كي لا تعبث بيها الريح . أوصد باب الغرفة بالطرباس . ثم رجع وفتحه ؛ لكون باب السطح الخشبي موصودا بالطرباس . لكنه عاد وأوصده . وتمدد علي السرير ، تقلب . لم يرتح في الأخير . جفا في الفراش لأن أجسادا أخري غطت هنا . أنفاسا بالغرفة . رأي عامل الإستقبال بالغرفة يزفر بفمه أنفاسا كضخ دخان الشيشة . هب إليه بقبضتيه . لكنه تراجع عن مهاجمته . لأنه أدرك للحظة أنه لا يدري أن ما يفعله يحنقه . طرده من الغرفة وأوصد الباب ، ثم خرج وطرده من السطح وأوصد بابه ، ثم خرج وطرده من البرج . ولم يرضي فقرر أن

يقتله ، وعمل علي ذلك . كان سباتا مسهدا ذرت عينيه أثنائه . نظر إلي الساعة فهي الثامنة وخمسة دقائق . خرج من غرفته بشفاه منفرجة . الظلام كثيف هنا ولا يري يديه . رمي بصره نحو البحر فلم يتبينه . مجرد ظلام كثقب يبتلع المتأملين . تلمس درابزين السلالم ونزل عتبتين حتي الدور قبل الأخير . هبط بالمصعد . كان العامل الآخر بموضعه . تقدم إليه دون كلام . '' ها ، كل شيء بخير ؟ ''

ونهض عن الكرسي بكيس معه . '' تعالي امضي لا تنسي . '' جلس ك علي الكرسي . كرسي إسفنج المجلس والمسند بأربع عجلات ، لم يرتح للحظة لعدم إرتكازه بهم . وراقبه الآخر لثوان . '' السطح مظلم . ''

- توجد لمبة نيون زرها جانب باب السطح .. شيئا آخر ؟

- شكرا .

- مع السلامة .

خلي المدخل له . نقل عينيه بمجلسه لكل ركن : المصعد ، السلالم الجانبية ، الجدار المقابل ، رخام الأرضية ، السقف الزيتي الدهان . عبر داخلين ، ومر خارجين . أكتفي بعضهم بنظرة عليه . أحد الداخلين أوميء له تحية وهو يتجه للمصعد . إحتار في لازمة جلوسه هنا . ومع كثرة المجاوزين لم يعد يتفحصهم . فتاة من السكان تعقد شعرها كذيل للحصان شعر أنها حدقته كالسائلة وهي تخطو درجات السلم الأربعة نحو البوابة . أسند رأسه لقبضة يسراه وتصفح الدفتر أمامه . بصفحة السابع من يناير رسمة بالقلم الرصاص شغلته لدقائق ؛ رأي فيها تجسيدا لخيال المآتة أو لشحص يبتسم وهو شجين . غر به صوت لم يستوعبه

للحظة ثم أدرك انه من الجهاز يساره . ضغط علي الزر : " نعم ".

صوت امرأة عجوز . " لا أنا الشغال الجديد .. ال.. من يشتغل بوردية الليل . "

- أريد شراء طلبات الآن من السوبر ماركت .

غاب عنه ذاك تماما . اضطر ليجيب : "حاضر ."

تأكدت خاطرة قد ترددت أنه بواب للبرج وهي لازمته به . دون بورقة ملاحظة ما أملته . وعلم لم علي المكتب دزينة منها . " والفلوس ؟ "

- أما معك وأحاسبك لدي عودتك ؟

- طيب ، فهمت . سأذهب الآن .. بأي دور ؟

- التاسع .

ما بجيبه سيكون مطواع الطالبين . صفر بشفتيه في ذهابه ، ولواهما في أيابه . فتحت الباب وطالعته بعناية ، وناولها الكيس . " انتظر يا.. "

تلعثمت وغابت عنه لتحضر المال . وعادت به في يدها ، وأخذت تسأله وهو يجيب . وقد أحفظه تأجيلها مناولته المال لحين أن تفرغ من تعارفها به ، لكأنه متشحذ يتروي صدقة . أخذ منها لفة نقود مُعرّقة في الأخير وعدهم ، وتمهلها قبل رد الباب : " المشتريات بخمسة وستين جنيه فقط . "

مد لها ما زاد . " لأجلك أنت . "

- لا شكرا .

استردها الباقي وهبط بالمصعد من فوره ، ورجع لموضعه بالمدخل . سأله داخل عن طابق عيادة الدكتور كذا ، اعتذر له

بعدم معرفته فطلب منه أن يخرج من البوابة ويرفع رأسه ليافطة العيادة ليعلمه بأي طابق . كاد أن ، إلا أن الثاني أوضح ضعف بصره . فنفذ له مراده وخرج وعد الطوابق وأخبره فشكره هذا ، وعاد هو لموضعه . بعد منتصف الليل قل المجاوزين تدريجيا ولم ينقطعوا بأي وقت . صمت موحش بين مجاوز وتاليه . قام وتحرك مضيا وجيئة بساحة المدخل . غادر المبني وشخص أمام البوابة يتنفس . رن الهاتف وخمن المتصل لحظتها ، وقد تناسي سبقه . أخبره أنه قد وجد وظيفة وسكنا هنا ، وأقتضب ووعد بمعاودة الإتصال . رجع للكرسي وأغضي جفنيه لدقائق . جاوزت الثالثة فجرا وتطلع لمدخل البوابة من موضعه وشرد . أمام البناية متكئا علي سيارة مركونة حل إسفار الصباح عليه . طفرت عينه اليمني دمعة من تثاؤباته . الثامنة والنصف صباحا والآخر لم يحضر بعد . والسكان إلي أعمالهم جادين . طاب له أن يردد : '' صباح النور . ''

أكثر من ثلاثة كل خمسة دقائق ، مع إبتسامات إستشراقات يومهم . وإذ هو يفرك عينيه ألتفت لطنة المصعد عن امرأة وطفلة صغيرة ، خرجا من المصعد . أقتربت المرأة في عادية من طاولته ، توقفت للحظة لحظة أن أبصرته . '' صباح الخير . ''

- صباح النور .

أوقفت إبنتها جانب الطاولة . رائحة عطرها زجت أنفه . '' أنت الشغال الجديد هنا ، صح ؟ ''

أوميء ك . '' نورت البرج . ''

- شكرا

وباشرت مع إبنتها بلا كلفة أمامه . تملي منها عينيها شعرها أصابعها . هندمت ملابس الصغيرة التي تطلعت له بفضول . نظرت له المرأة أثنائه فتلاقت أعينهما في دعة منه . وخطت بها للبوابة : '' قولي لعمو مع السلامة ، يلا . ''

- مع السلامة يا عمو .

وفنع أريجها في المدخل بعد مضيها فتنشقه لصدره . حضر العامل الآخر . '' التاسعة إلا الثلث ! ''

وضع كيس سندوتشات علي الطاولة .

- المفروض أن تحضر في الثامنة كما قلت .

- عادي إن تأخرت في الإستلام أو أن تتأخر أنت ، لا تأزمها .

مد له لفافة سندوتشات : '' افطر . ''

هز ك رأسه . إلا أنه ألصقها ببطنه ليمسكها .'' لا أحب أن يفعل معي أحد هذا ! ''

- إيه ؟

- قلت لك لا أريد . لا داعي لأن تفرض عليَ أخذها . لو كنت جائعا لأخذتها من أول مرة . ''

- أأكلت منذ البارحة بذمتك ؟

- ليست مسئلة أكل .. هذه الحركة تغضبني جدا .

لم يفهم العامل عليه ، وظل ينظر له ببلاهة . أخرج ك من جيبه نقودا . '' كم ؟ ''

- فهذه الحركة أيضا تضايقني !

- كم ؟

- اهدأ قليلا علي نفسك .

- أنا هاديء ، أتراني متوترا .

- طيب . يعني لا معاملة بيننا . كما تريد .
رقي ك بالمصعد . وأضاء اللمبة النيون ودخل غرفته وتكور علي نفسه علي السرير . نديت طرف إبهامها بلسانها ومسحت به فوق حاجبي الصغيرة . أقشعر ظهره . عطرها فواح . وأشتغاله هنا سيكون مشوقا أحيانا ومضجرا أكثر الوقت ، أقر لنفسه . وغفي في لذ عميق مع مباعثات أرهفته . المرأة تهيء بأصابع يديها الدقيقة شعر إبنتها ، أدرات رأسها جهة المصعد تري من نزل وأنحرفت ذراعها وهو يراقبها عن وجه إبنتها سهوا وكادت تلامس وجهه . نبهتها الطفلة : '' ماما . ''
ألتفتت وأعتذرت له عن خطأها . حث عقله معاودة الحلم ، وتلامسه بيدها . فقط إن تلامسه هذه الأصابع . أفاق علي الغروب . هبط بالمصعد . ومضي في طريقه . لم يحدد ما سيأكله لكنه تغرز أن جسده يعوزه غذاء معين . سار بالشارع الرئيسي . محل كشري ، لا . فول وطعمية ، لا . وشعر بالتوتر حين فكرأن يأكل أي شواء . أن يرشف بالملعقة عدسا ساخنا يدفيء أحشائه هي الرغبة . أستسلم في الأخير واشتري سندوتشات كشري . وتفكر كيف سيتدبر طيلة الشهر بما بجيبه . لم ينم كفاية ، سيأكل وينام بغرفته . لا تزال ساعتين علي موعد ورديته أو يمكن جعلها ثلاث ساعات . مر إلي المصعد ولم ينظر للآخر . دخل الغرفة وأكل ، وتنفس . هبط بالمصعد في الثامنة والثلث . '' ألا يوجد حمام بالسطح ؟ ''
- يوجد .. ألم تأخذ بالك منه .
نظر له ك وعلم أنه يسخر . '' كيف سأعيش بالغرفة بدون حمام أستعمله ؟ ''

- عند المسجد بالشارع الرئيسي .. عليك إيجاد سكن آخر قلت لك . لن ترتاح هنا . يمكن أن أجد لك سكنا .
- الشهر القادم .
- لا تهتم بذلك . يمكن تأجيل كل شيء .
- ليس الآن .. قل لي السكان الذين يطلبون الطلبات كيف أجلبها لهم إن لم يكن معي مال في جيبي ؟
- تكلم ببطيء حتي أفهمك .
نظر له ك .'' تتكلم بسرعة .. ألا يوجد معك مالا ؟ يمكن أن أعطيك سلفة إلي أن تستلم راتب أول شهر . ''
- لا ، معي . كنت أسأل فقط .. أتكلم بسرعة ؟
- تسرع في الكلام ، ولا أفهمك .
ذهب للمسجد وأستخدم دورة المياة . عاد وخلي المدخل له . ثاني يوم . ومني نفسه بمرورها عليه مجددا . بعد منتصف الليل تطلع للبوابة . ما يضر إلم يكن موجودا بكاونتر الأستقبال ؛ لا مراقب . دخل المصعد وضغط زرا عشوائيا فكان الدور الرابع عشر . وقف بين بابي الشقتين . فتح الباب الأيمن فجأة ودهش الخارج لمرآه . البابين مردودين بلا حياة . صعد دورين بالسلالم . لا حياة هنا أيضا . نزل بالمصعد ، فرأي الطاولة كما تركها . خرج من البرج ، وأرتكن أمام البوابة . يجاوزه الداخلين والخارجين . تمشي إلي الكورديل ليشرب ، ثم أكمل طريقه . وخطر له أثناء تفكيره ، أن يناديه أحد السكان فلا يكون هناك رد . أراد أن يخطو هنا وهناك ، وشيئا بهذه المدينة يستحثه أن يغور فيه . رجع لمجلسه . لهي بالكرسي المتحرك في ساحة البرج . توقف

عن عبثه به لدخول من تعقد شعرها كذيل للحصان . عاينته بإبتسامة . '' ماذا تفعل ! ''
هز منكبيه لا يجد ما يرد . '' أنت تشتغل هنا منذ البارحة ؟ ''
- ثاني يوم لي ، نعم .
لم يبادلها النظر ، أكتفي بأن جر الكرسي للطاولة . غلاية ماء كهربائية أسفل الطاولة من متعلقات العامل الآخر ، بها ماء . وضع الفيشة في الكبس . سخن الماء . السكر والشاي . درج في الطاولة مغلق ربما هو يخص الآخر . مفتاح بدرج آخر فتحه به . برطمانا للسكر وآخر للشاي . غسل الكوب والملعقة بعناية أمام البناية عند زرعة الأشجار المنشأة . وأعد كوبا . مر داخل لم ينتبه له فرآه وهو يرشف الشاي . مرثي الحال صار . إلي البوابة التطلع . الرابعة صباحا . طاب يومه الآن أو بعد ساعتين . لن يناديه أحدا ما بالجهاز بهذا الوقت . بالسطح تأمل شروق الشمس مليا ، والبحر . هبط بالمصعد ثم رقي به للأعلي مجددا وقرفص بداخله ، وهبط به . جلس بمكانه . إلي البوابة أدام التطلع .. يحتضر ك . يحتضر هنا وهو يتطلع إلي البوابة ، شعر بذلك وهو يتطلع إلي البوابة . فقد إحساسه بالزمان . يتبلد ذهنه . شرع في التلاشي . صمد قليلا إلي حين . أول خارج لم يُصبح عليه ، والثاني أوميء له فقط . بالأمس كان أوائل الخارجين يصبحون عليه . لم لم يُصبح أول إثنين عليه باليوم . ربما أعتاد الأشخاص وجوده ، فكر . البارحة كان أول يوم له . أيما توتر ألا يُصبح عليه الثالث . خيبة أمل كبري . وبينما هو يترقب المصعد أن يأت بثالث الجادين إلي العمل . ألتفت إلي البوابة لمقدم شخص

يحمل بذراعيه آلة كاتبة ورزمة أوراق . وضعهما علي الطاولة بقربه وبدا نعسا . '' أجديد أنت هنا ؟ ''

- نعم .

- أنا الساكن بالدور الحادي عشر .. أيمكن أن أترك معك الآلة الكاتبة إلي أن أحضر شيئا آخر .. خذ بالك منها .

- حاضر .

خرج الشخص من البوابة . والثالث : '' صباح الخير . ''

- صباح النور .

ردت الروح في جسده وأنقشعت بلادة ذهنه . هكع بمجلسه يتنفس . ألتفت إلي الآلة الكاتبة علي ركن الطاولة ، وأحد إليها النظر . قام ودني منها ، لكن لم يلامسها . ستمر به الآن ، ينتظرها . '' صباح النور . ''

طن المصعد وخرجا منه . لولا الآلة الكاتبة لأكتفت بتحيته وأنصرفتا . '' ملكك ؟ ''

- لا ، الساكن بالدور الحادي عشر تركها معي وراح ليجلب شيئا آخر .

- رجل كبير ؟

- لا ، شابا .

- هو مؤمن .

قاربت الطفلة من كرسيه وألتفت لها ، مدت يدها فتصافحا . '' برابو يا بيسو . ''

عادت جوار أمها وتعلقت بها بذراعيها تود إخبارها . '' إسمها بيسان ، ولكن ندلعها ببيسو . لما تكلمها قل لها يا بيسان . ''

أوميء ك . سحبت ورقة من الرزمة وعدلتها علي الآلة . '' لن يمانع . ''
نقرت بأصابعها الدقيقة علي الآلة الكاتبة لثوان . نقرت بأصابعها الدقيقة علي الآلة الكاتبة لثوان . نقرات متتابعات . هفي ترقبه . دُغدغ سمعه . لثوان لكن أمتدت في ذهنه ، واسترجعها يود التشبع بعدها . واجه الآلة الكاتبة . وقرأ ما نقرته .
يا مؤمن أنا مدام بلسمة . كيف حالك هذا الصباح ؟ سلم لي علي والديك ، وشكرا .
شد الورقة من المثبتة وطواها في جيبه . ومسح حروف الآلة بمنديل معه وحاول أن ينقر عليها . لكن نقرات المرأة كانت هي المراد لا مجرد نقرات أخري ، أصابعها نقرت . نقرت بأصابعها الدقيقة . جلس وتنفس من عمق صدره . أفرد الورقة أمام وجهه . ليس خطها لكنه بنقراتها . عاد مؤمن بكيس معه . نهض ك وحمل الآلة الكاتبة بذراعيه ، ظن هذا أنه سيناولها له عند المصعد ألا أن ك سبقه لداخله . '' أنتهيت من ورديتي وسأطلع معك بالمصعد . ''
- تسكن في غرفة السطح ؟
- نعم .
- طب هاتها أحملها أنا ، لمه تحملها أنت !
أخذها منه . '' من أين أقدر علي شراء واحدة مثلها ؟ ''
- تريد شراء آلة كاتبة .. ولمه ؟
- لأكتب عليها .
- لا .. يكفي ما بالساحة من كتاب .
- أريد شراء آلة مثلها .

- أشتريتها قبل فترة طويلة من محل في شارع رضوان بعد شارعين ، أسمه عُرف العتيق . اسأل عنه .
- .. لمه قلت لي يكفي ما بالساحة من كتاب ؟
- الكتاب بمصر أكثر من القراء .
- وما لي أنا بهذا .
- ألم تقل أنك تريد أن تكتب .
- يعني ستقف عليَّ .
- الكتابة ليست سهلة . لست كاتبا لمجرد أنك تريد .. مستوي كتابتك هو الميزان .
- أأنت كاتب ؟
- والحمد لله .
- أنا كنت أكتب منذ سنوات ، لكن توقفت عن الكتابة لفترة .
- والحمد لله .
- أقرأت كتابة لي ؟

نظر له مؤمن . '' إذا فكيف علمت بمستواي إذن ! ''

- معي طه حسين .
- أنت لا تعرف أي شيء .

أبتسم دون أولائه ردا . ثم سأله بعد لحظات : '' ما آخر رواية قرأتها يا أخ ؟ ''

لم يجبه ك فورا . ثم تفوه : '' لم أقرأ من الروايات المنشورة الآن إلا ثلاثة روايات ضعيفة . الفيل الأزرق ، وهيبتا ، وترنيمة سلام . وممكنا قول أن واحدة منهم تستحق القراءة فقط . ''

بعد برهة : '' أي شيء لم يعجبك بهم ؟ ''

- كتابات عادية . مجرد قصص ، لا تأثير لها . مطبوعة ليقرأها مزيدا من آلاف القراء .
- ولمه تكتب الرواية غير لذلك .
- غير لماذا .. ؟
- أنت من تقول .
- ما فهمت ما قلته الآن .
- طيب .
- .. ما أسم المحل ثانية لو سمحت ؟
- عُرف العتيق .

وصل الدور ، وهبط المصعد . عاد لمكانه . ندم علي مجاراة الساذج بالمصعد . يستنكر محاولته الكتابة ، ليتفوه بتعليق آخر عن الأسلوب وما ذلك في المرة القادمة وسأفحمه . تكدر تأثره بالنقرات . غض جفنيه وحاول إسترجاعها ، نقرات بأصابعها الدقيقة . وتنبه علي صوت العامل الآخر . طلب ك أن يكون تسلم الوردية في التاسعة صباحا ومساء ، لم يوافق الآخر . أراده ليشهد مرورها . مضي إلي متجر عُرف العتيق . طالع معروضاته لعشرة دقائق متنقلا بين الرفوف . سأل عن آلة كاتبة . صفا من الآلات الكاتبة حيره . حسب ما معه ، ليكتفي بمستعملة رديئة . أما ما لفتته فكانت جديدة في علبتها ستبقي معه مئتان وخمسين جنيها . أهداه صاحب المتجر رزمة أوراق قد جُرح منها فوق البيعة . وعاد يحملها بذراعيه ، وربما شعر ببعض الحرج . وأتجه مباشرة نحو المصعد ، ولمح قبل إيصاده عليه طاولة الإستقبال بلا إنسان . وضعها ورزمة الأوراق مع الوسائد علي الكنبة . وانضوي علي جنبه علي السرير يطالعها ، ولا

زالت نقرات أصابعها الدقيقة صورة وصوتا في ذهنه . أوتعطف عليه فتنقر له مرة قبل ذهابها كل يوم ، الجمعة سيحرم منها إذا كان . لن ينام الآن . كز علي أسنانه ، مستعملة مستعملة قد نقر عليها مغيظا له من قبل ، وربما فعلها وهو يمضغ طعاما بفمه . خرج بها ووضعها في الركن علي ملاءة السرير القديمة برفقة الو.. وبراد الشاي والأكواب وخلافه وعاد لغرفته . وغفي بعد ساعة . ولما خلي المدخل له رقي بالمصعد ورفعها من الركن وهبط به ووضعها أمامه . مسح لوحة المفاتيح بعناية بمنديلين . تطلع نحو بوابة المدخل ثم إلي الآلة الكاتبة أمامه . في صمت زفر نفسا من فمه .

عند حلول الصباح واستيقاظه شعر أنه مغثي . ذهب لعمله دون أكل إلا أنه ظل مغثيا نفسا وجوفا . لو تقيء لأنفك من لزبة حاله ، إلا أنه لم يقدر علي حمل نفسه لذلك . كان فقط ينظر بعينين قد تنقرت إلي كل ما حوله ، ولم يجب أحدا . سار إلي جانب النيل ورمي نفسه إليه . تم إنقاذه غير أن غثي نفسه ظل مستوخما في صدره . وعندها.. وقد كان تحت العناية الأمنية لمحاولته الإنتحار ، فكر أنه ربما لو دخل أحشائه حساء عدس ساخن لتعدل المستعوص ولنعم بتقويم الحال . وحين طلب ذلك من المشرف عليه رد أنه والله شاهد علي ذلك لم يتم منع عنه شيء عدا العدس . ولما أخذ يد المشرف وعضها أنبج من فيه القيء ، ثم أخذ ينتع منه وهو يهرول ويهرول . بيد أنهم صعقوه بالكهرباء لظنهم إختلال نفسه .

شد ك الورقة من الألة وأعاد قراءتها ثم مزقها وأقشعر حينها جسده ، ومسح بمنديل أصابعه . وسمع صوتا يناديه في الجهاز وكانت هي مدام بلسمة . '' حاضر .. بأي دور حضرتك ؟ ''
- الرابع عشر .
توجه ك من فوره للمصعد . ودق علي الباب ففتحت ونظرت له . '' ما هي طلبات حضرتك ؟ ''
دون علي ورقة الملاحظة ما أملته . '' انتظر سأجلب لك المال . ''

وفكر ك وقرر أن يسبقها للشراء أولا من ماله فهبط بالمصعد قبل رجوعها . ومضي يحث خطواته وعاد ودق علي الباب . مد لها الكيس في إبتسامة . '' فلمه طلعت أولا . كنت سأقول لك وترجع بدلا من أن تطلع لهنا ؟ ''
- معي مال .
مدت له فاقتطع من المبلغ ما زاد وأرجع لها الفائض '' شكرا . '' لم تفهم . '' أخذت ما دفعته . ''
- لا خذ .
- شكرا . أنا لست محتاجا .
- حقك .
- لا . أنا فقط..
- إيه ؟
- ليس هذا مستواي .
- أي مستوي . لا أفهم .
- أقصد..
- قل .

- أعني أني لم أكن أعرف أني سأعمل بوابا .. كنت أريد وظيفة فجاءت هكذا . لكني لست..
- ألا ترتاح هنا ؟
- لا ما أقصد هذا .. أنا فقط...
- فهمت .
تلاقت أعينهم . '' ولكن خذهذه المرة مني ، كيلا تحرجني .
- لا أريد أن أحرجك ولكن.. أأتكلم بسرعة ؟
لم تفهم . '' لما أتكلم ، أأتكلم بسرعة ؟ أحدهم قال لي أن كلامي ليس مفهوما . ''
- لا . مجرد جرة بسيطة في نطق الكلمات غير واضحة للدرجة .
- شكرا .. أنا نظرت لما كتبته علي الآلة وعرفت أن حضرتك مدام بلسمة .
أومئت له . '' آسف لأني طولت مع حضرتك في الكلام . ''
- لا أبدا .
أدار جسده نحو المصعد . '' شكرا . ''
وهبط به . تنوست خصلات من شعرها علي جبينها فهيأتها بأنامل يسراها دون أن تحيد بعينيها عن وجهه ، لم تتواري هذه اللمحة عن ذهنه . وعاد لمجلسه ، ثم قرر ورفع الآلة وغادر البرج قصد متجر عُرف العتيق . ووافق صاحبه علي إرجاعها وشراء الجديدة بديلة . وبينما هذا يحضرها ألتفت ك لحظة - وقد جذبه صوت ما - إلي ساعات حائط معلقة جانبه . ناوله العلبة وخطي ك معه ثم أدار رأسه للساعات . دقات منتظمة أقطبت حاجبيه . وقبل أن يخلف المتجر رجع وسأله عن ثمنها ، ووجه بعدها سبابته تجاه واحدة صغيرة وأضافها . ورجع بهما . وضع

الآلة علي الطاولة وقرب الساعة لأذنه ثم أقمرها في الدرج . تلمس بيديه العلبة الجديدة وأجل فتحها مدة إلي أن فتحها في الآخير . أخرجها وتنشقها . أغمض عينيه واسترجع نقراتها في ذهنه . نقرات تتابعت ولا تقلد . عدل الورقة بالآلة . وخرج من البوابة ونظر يمينا ويسارا ثم رجع لكرسيه وفجا درج الطاولة فتناها لسمعه دقات خافتات وأقفله ثانية وقد قطب في توتر .

تنشق ج بأنفه هواء نقيا ولأول مرة سجاح شط البحر . تمشي علي طوله وتأمل الأديم ، واشتري آيس كريم ولعقه . كان معه مالا يتراتل في جيبه . ونفسا صافية لا تتنكر . ولم يشعر في حياته ولو للحظة أنه وحيد ، إذ أنه لم يكن في حاجة للمشاركة لأنه.. وكان جميلا . ومن أجل التجربة فقط ولم يكن ناقصها يا هذا عمل موظفا للإستقبال بأحدي الأبراج . وطاب له سكون المدخل بعد منتصف الليل . ربما قليل من خوف خالجه أنه في العراء لكنه كان إحساسا أجلب الإمعان في الأمان لنفسه بعد أن يقفل الباب عليه .

سحب ك الورقة من الآلة ولم يقرأها بل طواها مرتين وأسكنها جيبه ، ثم أرجع رأسه ولوي شفتيه . شق الدرج وأصاغ السمع ، ونفخ مضطربا .

يعجز عن تحديد أيهما أسبق ذكري في وعيه . الأولي حين كان بالحضانة يظن أن أيداعه بها معاقبة . وجاءت والدته لإرجاعه ، وحملته بذراعيها في الطريق كي تسرع خطواتها . كان يعتمر قبعة بالغ فتدلت علي عينيه وأذنيه ، وبقدميه كوتشيي طفل آخر قد نمي علي إرتدائه وتحول له فكان لزاما عليه أن يفرد أصابع قدميه فيهما كيلا ينسلا عنهما . ولم يكن يري من القبعة فيرفعها

مليا بيده ثم يتركها تسدل . وأنسلت فردة الكوتشي اليمني عند مرورهما بسكة القطار . وأخذ في إستماتة يحاول أن ينبئها : " التوتي يا ماما .. يا ماما التوتي . "

ولم تفهم عليه فلم تعره إستجابة . وعند عودتهما أكتشفت ورجعت به في لفح الشمس يبحثا طريقهما ، وكانت تؤنبه وتتأفف منه . الثانية حين كان ووالديه مرة عائدين ليلا من زيارة لخالته وقد حاز فيها دراجة صغيرة بثلاث إطارات كانت لإبنها في صغره . حملها بداية والده بيد واحدة إلا أنها ألج عليه ان يتركها يحملها هو بنفسه . فكان يحملها بذراعيه علي منكبيه في إناءة . ولحين خاطف يضعها أرضا ويسعي لثوان أن يدفع بقدميه البدال لتتقدم به يستبق متعة ركوبها ، ثم يرفعها بذراعيه ويوسد الخطي ليعوض تأخره وقد سبقاه بخطوات فقط . ويزعق فيه الرجل عن إستدارته وضبطه يفعلها أن يؤجل ذلك لأمام البيت ، فيرفعها هذا علي منكبيه مجددا كأنه لم يجد بمحاولته شيئا . ولم ينشغل - وكان طفلا لا يفهم - بتلاددهما المتصاعد في الطريق . وللحظة كان في محاولته هذه عند عبورهم سكة القطار ووجد نفسه في تاليتها منكبا علي جنبه علي مبعدة وكتفه يكاد يكون قد خلع . هرعت والدته إليه ، ورغم الألم الفائق فلم يشهق أو يتأنن لثوان أعقبتها إذ أنه لم يستوعب ؛ لحظتين متتاليتين كانتا له غير متعاقبتين منطقيا . كان في الأولي منهما يبدل علي الدراجة وينوي بعد ثانية واحدة أن يرفعها ويمضي بها كرة أخري ثم إذا هو في الثانية منكبا بدراجته علي جنبه علي مبعدة وكتفه يكاد يكون قد خلع . وعندما يسترجع ذلك لا يدري إن كان قد تطوح في الهواء أم أنه أضافها للذكري بعدها . فقد علم أن الرجل أزمع

في جداله مع والدته فحول رأسه ناحيته ورفع الدراجة به بذراعيه - وربما إلي صدره - ورماها به - وربما لبعد مترين قد قذف - علي جنبه - وربما كانت محاولة قتل . ومنذها راودته حيرة . كان طفلا وادعا يقطر الكلمات في خفوت وإذا سُأل مُعابَثا عن إسمه همس به وداري وجهه خجلا . لدرجة أنه لينسي نفسه وهو جالس إلي جانب الطريق يتابع بعينيه أمثاله عمرا يلعبن الكرة ، ثم ينفضوا عنه ولا يني هو في أونه يطالع الطريق الشاغر يستشعر الحمي السابقة للأطفال في اللعب رغم إنفضاضهم عنه منذ الساعة ، ويرجع لنفسه فيقشعر بدنه ويجري عائدا لبيته متأخرا هيابا من العقاب .

رسام في الصحراء يعد لوحته ليرسم إمتداد رؤية عينيه . وعندما ينتهي منها ويطالعها يجد بها عنصرا شاذا فيتبدي فيها سراب . ينظر لإمتداد رؤيته ويري أنه فعلا هناك سراب . يشرب كوب ماء بارد وينظر أمامه فيتلاشي السراب . ويعيد رسم لوحته . ولما ينتهي منها وينشغل عنها ليرتاح مليا ثم يطالعها يجد بها سراب أيضا . ينظر أمامه فلا يجد سراب . ثم يقرر أن يشرب كوب ماء آخر وأن يرسم لوحة ثالثة من خياله وسيركز علي نقطة السراب تلك كيلا تنسل للوحة . ويتملي لوحته مبتهجا بعدها . ثم يتحول عنها وينكب علي أكل قد برد لإستغراقه في رسم ثلاثة لوحات . ثم للوحته ويكاد يرمع عقله في رأسه لما يري بها سراب . وتراوده خاطرة ترعش كيانه أنه لن يقدر علي نزع هذا التأثر من رسمه ما حيا . فيحاول الرسم مجددا ومجددا ولكن سراب وسراب وسراب . ويستدير حوله فتقع عينيه علي حمار يدعق في الصحراء في طريق عودته . يأخذ لوحاته تحت إبطه

ويجري يلحقه ليسأله إن كان هناك سراب في اللوحات أم أنه متهيء له لكن الحمار لا ينقطع عن دعقه لأنه مبرمج للطريق . يترجاه أن يتوقف لثوان فقط لكن الحمار لا يستجب . وعندها يقرر أن يعمق حفرة يودع بها اللوحات وملابسه وكل ما معه ليعود إنسانا جديدا ، ثم.. يجد أنه قد فعل ذلك لكن وسهوا بدلا من أن يلقي في الحفرة ويردم بالتراب ملابسه ولوحاته وما معه يكتشف أنه فعل ذلك بنفسه العارية ، وملابسه ولوحاته وكل ما كان معه بالخارج . وتنقطع أنفاسه ويجاهد ليخرج من قبره لكنه يكاد ينفق . ويسمع صوت حوافر الحمار بالأرض لكأنه راجع نفسه وكرر أن يعود ويري ما كان يريده . ويفتح فاهه يستنجد لكن يتغوه الرمل ثم يصرخ بحشرجة مهولة فيهلع الحمار ويدعق هاربا لأنه لا يستوعب هذا الصوت .

بعد التشبع بإسفار الصباح جلس ك إلي الآلة نشطا للنقر بلا نهاية . حزه قليلا ألا يستجمع جرأة ألا يقطع ما يقومه حين مرور الجادين إلي عملهم ، فكان عليه أن يمسك بضع ثوان ثم يطرد ما كان فيه . كان ينتظرها هي ، ومتيقنا كان أنها ستتوقف عنده ولو لبرهة كما بالمرتين . وحضر العامل الآخر فأقنعه ك أن يتمشي أو يقضي فعلا ليثما ينتهي للضرورة مما يكتبه وطاوعه هذا كأنه فهم عليه . استرجع لمحة الليلة الفائتة عندئذ ومنها حول عينيه للمصعد ليراها تخرج وبيسان . " صباح الخير . "

- صباح النور .

نهض عن كرسيه ووقف لجواره كأنما يفسح مجاله لتجلس وتعاين الآلة . عينيه مع عيني بيسان . وجذبتها الآلة علي الطاولة . " أشتريتها جديدة . "

- البارحة لما رأيتها مع مؤمن ؟
- أنا أصلا قبلها كنت أكتب . ليس لأني رأيت مثلها معه .
أشارت بأبهام يمناها للأوراق المكتوبة جانب الآلة : '' كتبت كل هذا إمبارح ؟ ''
- أنا فقط أقعد لوحدي طول الليل .
- عمه كتبت ؟
- عن كل شيء في حياتي .
- حياتك ملأة كما يبين .
- بالعكس . كثرة المكتوب لخلوها .
- طب أريد أن أعرف قليلا من حياتك .
لم يحر ردا . '' أعني أن أقرأ منهم . ''
- فهمت من الأولي .
- فهمت ..؟
- لما قلتي أريد أن أعرف قليلا من حياتك فهمت قصدك .
- طيب .. عندما تود فاعلم أن لك في البرج قارئة منتظرة .
- حين سأكتب ما يستحق القراءة لن يقرأه غيرك .. أقصد حضرتك ستكوني الأولي .
- ستسعدني بها .. قولي باي باي لعمو .
- باي باي ياعمو .
آه لو كانت مدت يديها بثقة وقالت : '' هات أقرأهم . ''
لكنت ناولتها كل أوراقي دون ثانية تردد . وبشرة بيسان مخملية . وجمع أوراقه وحمل الآلة وأخرج بيسراه الساعة وولج المصعد ، ووترته الدقات . أكتم الساعة بالوسادات علي الكنبة والآلة جوار السرير . غير أنه ودون دافع قد حدده نهض بعد ساعة من التسهد

وجلب الساعة لتدق قرب أذنه . وقد احنقته ردوده المقتضبة علي مدام بلسمة .

وعند خلو المدخل له كان وجه بيسان يذاهنه . وقرر أن يكتب حكاية خيالية لها . فنقر عن شاب تترجاه طفلة قبل أن تنام بفراشها أن يحكي لها حدوتة فيجلس لطرف السرير ويشرع في القص . قرأها مرات ، وتقمص مدام بلسمة تقرأها ثم بيسان تسمعها . رقي بالمصعد للدور الرابع عشر ليسلها من تحت عقب الباب ، لكن كان مردودا إلي رخامة تحول ذلك . فرجع إلي مقعده وعزم أن يناولها لمدام بلسمة بمرورها عليه . واسند رأسه علي الآلة . دخلت البرج الفتاة عاقدة الشعر كذيل للحصان وكما تفعل نظرت له بثبات وهي تتجه للمصعد ، رن هاتفها فتوقفت قبل المصعد تجيب . من تحت حاجبيه طالعها تتكلم . تظهر عادية غير أنها أنثي تخادن إذا ما أفردت فيها الخيال . لو أرسلت شعرها علي منكبيها لتفتنت . لكنها تمسكه كذيل للحصان . وتتأكد مرة من عقصه للخلف بعناية كل أربع ساعات عندما لا تكون ببيتها . وتبتسم بعينيها وتثبت تعبيرها برهة بعدها فيحلو للمتلصص إدامة الإختلاس . لا تلتفت لحسنها بأول رؤية ، لكن وبالتملي فيها تتكشف ميسماتها لك فتود مغازلتها لكن وأية جرأة . سيشد إنتباهها أن تنقر بسرعتك علي الآلة ، وأخذ يحاول وصفها في محضرها يخطف نظرات منها بين حين وحين وأمتعه ذلك أيما متعة . خطت إليه . '' رغدة . ''

- نعم ؟

- إسمي رغدة .

- أهلا وسهلا .

- أريد فقط نصحك نصيحة .
- وهي ؟
- اجلس بشكل مستقيم وأنت تكتب لا تنحني للآلة .
أرجع ك ظهره لمسند الكرسي . '' هكذا ؟ ''
- نعم .
- شكرا .
- ماذا كنت تكتب ؟
- لا شيء محدد .
- الآن لما كنت تنظر لي ؟
- صراحة ، عنكي .
جاورته لتقرأ فغط بيسراه المدون بالورقة علي مثبتة الآلة . '' لا ، أرجوكي
''.
- إساءة لي ؟
- علي العكس . ولكن سأشعر بالحرج إن قرأتها .
- عمه كتبت فيّ ؟
- شيء متعلق بمحضرك .. أقصد شعورك.. شعوري عند عبورك عليّ .
- هكذا .. طيب .
- شيء جميل .
- فهمت .. تمشي كل ساعتين قليلا لتنشط دمك لا تجلس طوال الوقت .
- حاضر . شكرا .
وابتسمت قبل إيصاد المصعد .

خرج من البناية وطالع الدور الرابع عشر فألفي درفتي النافذة منشرعة وقد زين إطارها ببلالين مربوطة بخيوط إليها يعابثها الهواء لإحتفال ما بالشقة . ألتفت يمينا ويسارا وتناهي لسمعه صرخات خافتة فرفع رأسه بعفوية وأحد عينيه ليستبصر ما يراه ، واتسعتا . صالب ذراعيه أمامه وللحظة أدرك إستعصاء ذلك إلا أن في محاولته إنقاذ فأزمع . ولم يلتقطها تماما إذ أصدع ثقلها ذراعيه لكنه نجاها من جفأة بالأرض منهية . وتحول عنها بصرخة وذراعيه وصدره متقوسين أمامه .

اليوم كنت في.. أي بالأمس كنت ؛ إذ أن الساعة جاوزت منتصف الليل منذ هنية . فما كان كان باليوم منذ ثوان وقبل أن أنظر في الساعة ، والآن بالأمس كنت في القاهرة لحضور الندوة في السابعة مساء كما أتفق . وإن سجلت - وقد خوت رؤيتي للساعة - فإن ذلك كان اليوم . بداية فقد تصنعت العادية إلي أن ينتهوا فأنل المبلغ . وهودت نفسي بهواء نقي أتنشقه بعدها . الكاتب الحق في تقديري لا يقدر بعصف ذهنه علي بثق جملة واحدة يرضي عنها لإجابة سؤال ما عن قصته وإن كان قد أنتج فيها ألف صفحة ، فكان أن أقتضبت في الجواب حتي خيل إليَّ أنهم ظنوني بلا روح . ووقتها ما كان يشغلني هو عمار حائز المركز الرابع وخمسة آلاف يتيمة . راودتني خيبة لتقمصي خيبته ، رغم إنكاره لي هذا بعدها ونحن نسير . وقررت أن أتقرب منه فانتظرته في الخارج وتقدمت فرحب برفقتي بابتسامة . وكاشفته بهذا وبعدم إقتناعي بفكرة المنافسة عامة فأيدني وأعقب وكان بيننا حوار تعارف وفضول . إذ أننا كنا كاتبي قصة ونبحث في كلي الآخر عن شيء ما . دعاني لشقته المنفردة به . '' سأقابل شخصا

ما وعدني أن يجد لي سكنا بالقاهرة ، وبعد أن أستقر هنا غدا أو بعده سأتصل بك . ‘‘

وأوقفني عند محل لعصير القصب يشتري لنا كيسين فطالعت كتبا معروضة علي الرصيف المجاور ، كان منها أصل الأنواع والحرب والسلام والأخوة كرامزوف والحب في زمن الكوليرا ورواية لأندريه جيد لا أتذكرها وخمسة لعشرة أخر راودت نفسي عن فتنتهم لحين أتدبر واستقر بما معي أولا . وقررت أغفال سدادي لديوني إذ أني بها يكن معي من المبلغ خمسة آلاف ولكم أود أن أتنفس بعد كبت . عاودت الإتصال بعلي الطبيب النفسي ووصف لي عمار كيف أتخذ طريقي لأصله في القهوة تلك ، وافترقت وإياه . وكانت أول مرة أستقل فيها المترو وصدم بابه كتفي وتعثرت في وضع قدمي ورفعها عن السلم الآلي وأهتديت إليها في الأخير . كان مع آخرين أحدهما يرتدي تيشرت أسودا وفتاة كانت في القهوة لم أنظر في عينيها بمجلسي معهم . قدمني وجلست إلي الطاولة . وأخبرني أنه سيعيد الإتصال بالسمسار ليدبر لي المسكن لاحقا . جاء النادل يسألني عم أشرب . ’’ شكرا أنا مكتفي . ‘‘

وضحك هذا المرتدي التيشرت الأسود . وأطنب بعدها في حديثه عن طباع ساكني المحافظات فشاركت بسؤال دون جدية لم يتصف ساكني المنوفية بالبخل عامة . فرد : ’’ أتعاملت مع منوفي من قبل؟ ‘‘

- لا لم يسبق لي .

- إذن فأنت لا تعرف . هم هكذا من غير ذنب .

ولم أستشف الهذر في كلامه . ألتفت لعلي فابتسم . وأزبد هذا في شرح أنهم عاشروا قديما قوما بعينهم فكان أن سجوا بطباعهم حتي اليوم . ولهيت عن متابعة لغوه . ولا أدري إن كان هو أم هي من بصقت عفوا علي الأرضية فما كان مني دون تدبر أن أخرج منديلين وأقم وانحني أمسح البزقة عن الأرض ، وربما هذا استرعي الأعين . أشار لي علي لسلة القمامة فرميته وعدت لأجلس للطاولة . وكانت هذه شرارة مشاكسته بي فإذ هو يأخذ في سؤالي حتي لم أجبه . وطلب أن أناوله الكشكول . '' به كتابات خاصة . ''

- أرني .

ولم أجاوبه ، فعلق بسخرية أن شكلي مضحك . علي : '' وما فيها ؟ ''

- يذكرني بالتلاميذ لما يذهبوا للدرس .

- أكتب فيه لما أعوز .

- المضحك أنه لا يلفه بيده بل يحمله كما هو .

وعاداني بكلامه فتدخل علي وزجره . وكنت ضائقا حينها ففهم عليّ علي وقام ليغادروا . وبالخارج أتصل علي السمسار فأخبره عن مسكن ورقم هاتف . وعليّ الإنتظار للغد فعرض علي أن أبيت عند هذا المشاكس الليلة لكني أبيت وأخبرته أني سأسافر راجعا ، وألح أن أكمل معهم الطريق فأتعشي بل إن هذا.. علي أي فأني خلفتهم ، وقررت ألا أرجع فلا طاقة لي كانت بالسفر بعد هذه الليلة . سألت عن لوكندة بعد أن أشتريت كيس شيبسي من البقالة . ونزلت بهذه الغرفة ، ثم أري ما فاعله أنا بغدي . يا قاهرة الأحلام أتيتها لك فحتتيها تباعا تباعا ، ولا زلت أتغزلها

لياليك فيَّ بلا ضغينة . أكان لزاما أن تقسي عليَّ سابقا وبصدري من غيرك اللواعج . صدم كتفي باب المترو وكدت أقع ثلاثة وبالرابعة توازنت وأنا أباسمكي عبثك بي . فقد كان لنا شأنا بالعام الماضي ، أوتتذكري . سأفعلها وبك وإن تلازبت في وجهي عما أرمي وصوله كالطين . وسنة تلو سنة سأتشبعك وألفظكي وأمضي وأرجعكي وأشكي . وسيكون أن تربتي علي ظهري تستكيفيني بما بثيته لك ، ولن ألتفت لنفاذ صبرك . يا جمادا أنتي يا شوارع ، طيب .

عثر لي علي علي شقة وعرض أن أتشارك إيجارها ألفا وخمسمئة جنيه مع عاصي القادم للقاهرة للعمل والإستقرار . لم أكن قد تقاربت وعاصي عندها وقد تعارفنا نحن الثلاثة ببعضنا من خلال الأختبارات التي كانت ، ولم ننجح ثلاثتنا . في النهار قبلها كالمني عمار فأخبرته أني نزلت بلوكندة وعرض عليَ أن آتيه إلي أن أجد مسكنا ، ووعدته أني سأفعل إلم أجد الليلة . وتأخرت في الرد علي إتصالات علي إذ أني كنت أحاول الكتابة أو كنت مشغولا بشيء ما آخر . بل أني قررت أن أتخذ وجهتي لعمار مباشرة . وقررت أيضا أن أقطر في مالي حتي يفيض لي أمد فترة ممكنة . إذ أني لن أعاني وأعمل مجددا لأني لم أوجد لأكسب قوتي إلا كما الملوك . وخلت الشقة لي وعاصي بعد ذهاب علي عنا . وكان عاصي قد حلق شعره الطويل متدهورا يدخن بشراهة ، وقال لي : " كل مرة كنت أسقط وأعاود النهوض ، إلا تلك المرة فأن شخصي الذي سقط ليس هو من قام ".

وتعشينا في الفرندا مما أودعه علي لنا في الثلاجة ودار بيننا حوار ما . '' لا أعرف الطبخ . ''

- ولا أنا .

- إذن كيف سنسير حالنا .

وعاود عمار الإتصال بي وفاضلت بين الإثنين . رددت ، وقد كنت أنوي الذهاب إليه إلا أني أعتذرت . '' غدا نفعل . ''

وحاول عاصي حملي علي التدخين . '' كيف أنت كاتب ولا تدخن ! ''

سيعمل بكافيه علي النيل من الغد وعرض عليَ العمل هناك معه فقلت أني لا أرغب . '' وكيف ستصرف علي نفسك ؟ ''

وأخفيت عنه أن بحوذتي مالا . '' الفراشة كانت في الأصل دودة لو رأيتها علي حذائك لدست بقدم علي قدم . ''

- أنت مخرب يا عاصي .

وحديث عاصي يخالطه كلام رذيل . تدغر علي أن يرفث فيه ويجرز بالشتائم كل هذا وذاك . وسماعه صراحة يغثي نفسي بل أني شعرت كأني سأتخثر للحظة . رغم أنه أي عاصي شخصا يحبب مجالسته . فقط لو جزع من حديثه هذا النبو ليكونن فواه تشخص له الأعين . أشرت له لذلك فأجابني وهو ينظر جهة أخري أنه يفضل ولأنه يصادقني بلا كلفة ألا يحجم لسانه بل يطلقه علي سجيته . طلبت أن يقلل من ألفاظها . '' سأحاول . ''

عقبت لشعوري بإحراجه أنها تضايق رأسي لا أكثر . '' أنت خول . ''

- شكرا .

- أشتمك لأني أعزك .

- أعرف أعرف .
يقدر أن يقود جدال بين إثني عشر رجلا غاضبا ، رغم أنه نز المضايقة . وكنت مغتما فروح تدهوره عن سوء حالتي صراحة . كان بيننا شيء سيكون ، وكنا مغامرين بطريقة ما .
أعتبرني موفقا أن ولدت بعد عشرة سنوات ، ولا عزاء لمن سبقني بعشرين . عشرينات القرن الواحد والعشرين العشرينات من حياتي . الوعي العشريني . اضرب في الجدار لينهار ، جرف التطور ، تأثر بإنفتاح ، للحق التقدم ، تعميم شخصية المرأة ، لا مبالاة مُعاني التقلصات ، صدق وحياة جمالية ، تنقل مكاني ، ترسيخ الحرية الجنسية ، شطح التناول ، نبذ النوستاليجيا والضعف ، و .... ، للحالة كيان ، وأي عقد سيكون .
ورنقت لحديث عاصي وإلي الليل وبعض الذكريات . حتي الثالثة فجرا فاستأذنني لينام وأنفردت بنفسي وقتا . ثم عاد وقد بدل ملابسه . '' لمه تجلس لوحدك ؟ ''
وحملني علي النهوض والإيلاج لغرفتي . هيئت فراش نومي وخلوت لنفسي ثم إلي الكشكول قبل أن أنام .
ما حدث مضي فلا تتغابن . عندما صحوت قبل الغروب لم يكن عاصي بالشقة وقرأت ورقة بغرفته عندما دخلتها يكتب فيها خواطره حول تحفيزه لنفسه بعد كبوته . وأكلت من الفول والزبادي والفينو الذي جلبهم علي للشقة وقد أكلنا منه البارحة .
وفي الثامنة قابلت عمار عند ميدان التحرير ، وناولني نسخة من روايته المنشور مع إهداء من كاتب لكاتب أرجو أن تستمتع بقرائتها . وخيرني بين كورنيش النيل أو مقهي بوسط البلد

فأخترت الأولي ، وأكرمني بالذرة . جاوزنا سور النيل . '' سيبتل حذائك . ''

- فليبتل .

- منذمه تلبسه ؟

- لا أتذكر تحديدا .

وكان حوارا موجزا علي صخور النيل . أسهم هو لدقائق في التحالف الإنسلالي ما بين السلطة والأزهريين ، وطالعته أنا عن كسر جدار اللغة في السرد . وكنا متفقين فكانت كل جملة تؤيد ويضاف إليها . ولم تتلاقي أعيننا إذ أنه لم يكن من داع . شري كوبي حلبسة ، وكانت ذوقة منه كافية لركنه جانبي . '' لو أن شخصا يتبقي له يوما واحدا قبل موته لخلل عضوي ، ماذا يفعل بهذا اليوم ليخلق قصة تتبع ؟

أخذ هو في هذا وذاك وهززت رأسي في غير ما إقتناع . '' وكيف ستفعلها أنت ؟ ''

- سأجعله يجلس إلي ورق وخمر ويسترجع ذكرياته ويستفيض .

- فكرة مستنفذة .

- لكن فعالة .

- وما الفعال في الذكريات ؟

- سيعيد صياغتها إفتراضا .

- ويوهم نفسه بذلك .

- تماما . وليتشبع ممن عبروا عليه .

- وهذا سيرضيه ؟

- هذا السؤال المعلق . ما تظن ؟

- لا أعرف .. ما رأيك أن نكتبها معا ؟

- لا تتحمس ، ما هي إلا خاطرة إرتجال .
- لو كتبناها معا سنحبكها .
- مشاركة الكتابة غير مقبولة عندي .
- ولمه ؟
- لأسباب نفسية .
ولما إكتنهت خيبته . '' سأفكر . ولكن كيف سنكتبها ؟ ''
- عندي في البيت .
- ضع أنت قصة غير هذه وأعرضها عليّ .
- ضعها أنت أولا .
- سنفعلها في يوم ما .
- وعد ؟
سايرته علي غير إرتياح مني ، وأعقب سكون لذيذ . وشردت في مياه النيل وتوترت لجلوس إليه مباشرة . وترافقنا لشقته . وجلست علي الكنبة . '' عن إذنك سأنزل لعمتي تحت لخمس دقائق وأرجع . ''
- خذ وقتك .. سأستخدم الحمام .
- هناك .
عاينت الشقة ، غرفتين وصالة فسيحة وشرفة . وقد أخطأت في تصوري لحالته بمشابهتي . حاولت أن أطالع روايته فاكتفيت ببضع صفحات ولا أدري أأخدعه أني قرأتها وأستحسنها ، لكن صدقي لن يقبلها . أنه يستخدم تعبير قال غاضبا وقد.. علي أي فأني سأحمل نفسي علي قرائتها وأركز كيلا تعكر صفوي . أرتديت نظارته ونظرت في المرآة وكان شخصا آخر ينظرني . جاء '' سننزل بعد قليل عند عمتي للعشاء . ''

ضايقني ذلك بداية وحاولت التمنع . نادت عليه عمته ونزلنا إلي الشقة تلك . صافحتني وإذ بي وقد أصابني شيئا في محضرها ، ثم دعتني إلي الطاولة معهم . فكت أسر حرماني ؛ فآخر مرة دخل أحشائي طبيخ بيت منذ.. أن حديثي عن الطعام يشجيني ، وأكلت بصلا أخضر . أخبرني عمار لاحقا أن رب الأسرة يتغيب في سفره وسألته بخصوصها حتي أكثرت . فكرة أن عليّ مفارقة هذا المكان قد حلت عليّ كغمامة حينها . وعدته أن أفرغ نفسي أياما أبيت عنده لنضع قصتنا المزعومة هذه . وتوقفت أمام باب شقة عمته لثوان ، وإذ أنا هكذا وإذ بعمار يلاحقني ليرافقني ويعتذر أنه لم يخطر له هذا وأنا أخرج من عنده . لكني منعته وعدت وحدي . وأخذت أتنهد في طريقي كأن صبوة بصدري ، لا أدري . ترددت أن أدخل محلا للعطور ثم قررت التقشف . ما ضنا علي النفس كان ولكني كنت فقيرا ، والفقير السابق ليس بخيلا في تدبره بما معه . وعندما رجعت وجدت عاصي بالفرندا يدخن ويمرر يده علي شعره المقصوص . '' أين كنت ؟ ''

- كنت أتمشي فقط .

أشار لذراعه اليسري : '' ألا تلاحظ شيء ؟ ''

كانت موشومة من ساعدها حتي معصمه ، سرق لبي . '' مكلفة ، ستة آلاف جنيه في هذه . ''

- معي مال .

- ممه ؟

- اليوم ربحت المركز الرابع في مسابقة قصة قصيرة .

- ألم تقل أنك كنت تتمشي ؟

- بعدها فعلت .

- ولمه لم تقل لي ؟
- كنت سأفعل .
- كم ؟
- مبلغ شهرين أو..
- مبروك .. أريد قرائتها .
- تافهة قبل أربع سنوات كتبتها .
- أريد قرائتها مع ذلك .
- لا ليست بمستوي كتابتي الحالية .
- إذن فأقرني ما بمستواك .
أرحت وجهي لراحتيّ . '' مالك ؟ ''
- لا أعرف . لست بخير فقط .
- أتريدها الليلة ؟
- نعم ، الليلة .
سبقته للشارع . وفقت إذ جلبت معي جم المبلغ . نزل وسرنا صامتين بداية ، وعدد لي أشكال الوشوم وكيف.. وقدرنا بعضنا في الحديث . وقدم سيجارته بداية فأخذت نفسا وأصر أن أدخن سيجارة كاملة . كان ليل القاهرة لنا . وكنا نرقص دون موسيقي كمغامرين . كنا كأنا علي أهبة لسطو بنك ما ، وهو أمر سننتهي منه في دقائق معدودات وقد أعتدناه بل أنّا لا نلثم وجهينا حتي . لو أن عصابة تحرشت بنا في سيرنا لجندلنا أفرادها أرضا وتسائلنا أهذا كل شي للآن ! كنا نخطو بأقدامنا وصدورنا أمامنا تخبرنا بجاهزيتها لاختراق الأفق غير هيابة الثقوب أو الوحوش ، وكنا.. كنا شابين ، وكان هذا عصرنا . كان الآخرين لا شيء ، وكان ليل القاهرة هو الشيء . ولأننا لسنا من سكانها في الأساس

فقد كنا نعظمها . وتوقفنا لدقائق عند النيل . '' ليت نومي اليوم لا يعقبه صحو للعمل .. كيف ستصرف أنت بعد خلو جيبك ؟ ''
كان معي مقدارا يؤمني وقتها لكني.. وقادني للمحل ، طالعت الوشوم وخلافه وأشرت . '' هذا كبير . أي حجم تريده ؟ ''
أستدرت بظهري . '' أن يغطي ظهري كله . ''
حتي أنا تشككت فيما بدر مني بعد لحظتين . وتناقش مع أشخاص أخر يراجع هذا وطول الوقت . ابتسم لي عاصي وأومأ بيده متسائلا يصرفني عنها لكن كان قد حصل . وأقنعني الواشم أن يكون عند أضلعي اليمني ويلتف لجانب ظهري . وكان عذابا ما أن يبدأ حتي يلزم إنهائه ولكني لم أتنن . '' ارجع أنت يا عاصي كي تنام ، وأنا سأرجع لما أنتهي . ''
وأعدتها عليه مرتين حتي فعل وصافحني . '' أمعك مالا ؟ ''
- لا تقلق .
ناولني مبلغا . '' خلي معك هذا . ''
- معي يا عاصي .
- لن يضر أن تعيده لي غدا .
وأسقطت في أيديهم إذ أنه أربعة عشر ألفا كلفني . كومت ما معي ودفعت منه ، وكان رجوعي مؤلما . كنت لأضع ألفا عليهم وأسدد ديوني لكني بدل منها توشمت في موضع لن يراه غيري ، تنفست جانب النيل . قد نبهني ونحن في طريقنا لإرتفاع الأسعار بأحجامها وشكلها لكني قررت قبلها أن الوشم بستة آلاف فربما وألفين أو ثلاثة . وكأنه لزام عليّ أن أكون بثلثي وعي عندما لا أكون بمعزل عن المحيطين ، فيبدر مني دون تروز ما يحنقني عند إسترجاعه . وكانت تملي عينيها منه قبل الأسبوعين لأنها لن

تراه ثانية ولأنه مثير للريبة . عدت للبيت ولغرفتي وتأرقت . الآن معي سبعة آلاف وسبعمئة بمضاف ما كان معي سابقا . ناولني عاصي ألفا وخمسمئة وضعتها له قبل أن أنام أمام باب غرفته ما أطيب محاولته تلك . إن أقتطع أكلي عشرة جنيهات باليوم إضافة لإيجار الشقة سبعمئة وخمسون فسأعيش بما في جيبي حوالي الثمانية أشهر . لكني سأتدني للإحتساب والتقلق ثانية . أيمكن خلالهم أن أحوز مبلغا آخر بوسيلة ما . ربما سأرفأ إلي عمار وأستدن ، ضقت بهذ كله . وعندما طالعت وشمي في المرآة مليا وأنا عاري أستثرت فاستحممت مطولا ونمت وصحوت الآن بالثالثة مساء . سأعد طعاما وأنفض عني القلق ، وأري خطوتي الآتية .

يغبش علي صوت دقات عقرب ثواني الساعة بنقراته علي لوحة مفاتيح الآلة فيتعامي في حمية تدفق الكتابة عن وقع دقاتها بأذنيه . ثم يتروي يتدبر فيما يدونه وحينها يضطر لسماع الدقات فيأز نفسه ليضغط علي لوح المفاتيح ويواصل تهربا من توتره . أقمرها بالدرج لكنه لم يرتح بعدها وقد إعتاد دقاتها فأعادها لجانب الآلة . ويغفو علي دقاتها جانب أذنه . ومرة كان عليَّ أن أفعص صرصارا بحذائي . لكني أحرقت الحذائين بعدها فوق سطح البيت ، وكان يوم شتاء ما . وأنتبه ك إلي أحد السكان يتوجه من الأسانسير إليه ويتوقف يبتسم بجنبه . '' كم الساعة ؟ ''

- الثانية عشر إلا الثلث .
- البرد هذه السنة يتأخر .
- نعم . ولكن سيأتي الشتاء بجبروته .
- وإن لم يأت ماذا سنفعل ؟

- لا أعرف .
- اكتب علي الآلة ماذا إذا لم يأت الشتاء ... ها .
- كتبت .
- وبماذا ردت ؟
- الآلة لا ترد . أنا بها من يفعل .
- الكتابة شيء عظيم .
- حضرتك تريد أن تقول لي شيئا ؟
- أتسهر معك . أيمكن ؟
قام ك عن كرسيه . '' تفضل اقعد . ''
- لا سأقعد هنا إن لم تمانع .
وأقتعد جانب الطاولة . '' تدخن ؟ ''
- لا ، لا أدخن .
- كاتب ولا تدخن .. كيف !
- لا أعتبر نفسي للآن كاتبا . أتسلي فقط .. ما عمل حضرتك ؟
- أنا ؟. أعمل في مكتب محاماة . وفي العقارات أيضا . هذا وذاك .
- عملي أنا هنا ، ماذا تسميه ؟
- موظف ؟
- أو بوابا .
- حارس العقار لا يجلس لمكتب .
- والموظف لا يجلب طلبات السكان من السوبر ماركت .
- يا عمي كلنا خادمي لقمة العيش .
- ولكن أنا لو كنت أعرف قبلها ما كنت قبلت .
- لست من الغردقة ؟

- نعم .
- أتعرف أحدا بها ؟
- تعرفت عليك الآن .
أبتسم . '' هاني . ''
ثم تثاءب وأمتقع صمت . '' تشرب شاي معي ؟ ''
- لا . لا أحب الشاي .
- ما عندي مشروب غيره .
- عشرة دقائق أطلع فيها أعمل كوبين نسكافيه وأنزل .
- لا داعي .
- أريدها أنا ... انتظرني .
وأوصد باب المصعد عليه . تأخر عن النزول ثلاث ساعات فأقتنع أنه لن يفعل . أعد لنفسه كوب شاي . خرج من البناية يرتشفه لكن لم يستذقه فركنه علي درجات سلم البوابة ثم جلس عليها ولوي شفتيه وهو ينظر للكوب جانبه . رفع سبابته وإبهام يده كمسدس وصوبها نحو بوابة البرج المقابل . '' بشيو بشيو بشيو . ''
نظر لكاونتر الإستقبال خلفه لحظة . ثم أتي علي كوب الشاي . دخل البرج وخرج ليغسل الكوب بزجاجة المياة .
يتجه المستكشف نحو الغابة ويوجله زئير أسد ويستدر ليراه كلبا . يبتسم ويكمل ثم يجد نفسه مشلولا في خيوط عنكبوت بركن في الحجرة . يحاول صرصارا أن يسترق بنيانه قبل أوبة العنكبوت لكنه يتعثر في الشرك مثله ، يفر به الكلب الزائر يحمله علي ظهره . يفق من إغمائاته المتكررة ويجد أنه في كهف مسدود المخرج بصخرة ، يصرخ والليل ولا آدمي هنا . ثم تراوده تلك

الخاطرة أن لو تذكر دافع توجهه في البدء نحو الغابة فسينتهي هذا كله ، لكنه يعجز . ثم يخيره مخير إما التيه في الصحراء مع نهار ممتوح لا تشفر شمسه وإما العزل في الكهف . وقبل أن يجيبه يجد نفسه ترزح في أغلال غازي يستعبد الملوك المقهورين ليجروا عربته وسط عرمرمته بسياط الحراس ، ولا نجدة مما هو فيه . ثم يكون طفلا يراقب أمه تلده وتصرخ عليه ألا يشاهد هذا الحرام . يجري ويتعثر في زرعة صبار تمشظ ساقيه . امرأة عجوز تساعده وتهون عليه ويتملي وجهها المتغضن . تأخذه لدارها ثم تحبسه مع الأطفال الآخرين لتبيع أعضائهم . يتذكر أنه كان يتخذ وجهه للغابة ليجمع أحجارا فريدة فيها . يمد يديه أمام وجهه يجدهما تحمران وتئزانه . يهيم في الصحراء مع النهار الممتوح . يخطط أن يزرع الفراولة بالبذور التي بجيبه ليعتاش بأكلها . وحين نموها يستأخر حصدها لتنضج ثم يتناول طبقه ويمضي لزرعته ليفاجيء أن قططا قد أتت عليها وتتسفد ذكورها بأناثها بفجور بعد تخريبهم الزرع . يقتصي بركن وينكمش علي نفسه . امرأة دميمة الهيء في الأعين جميلة الوجد في الوجود تربت علي منكبه سأطعمك . يذهب معها لبيتها وتنيمه إلي أن تعد له الطعام . يفجع من نومه علي ضجة ويجري وراء عربة الكلاب المسعورة وقد أودعوها بها ظنا أنها منهم ، ينشج في البكاء وهي تودعه بيديها خلال القضبان الخلفية . يتخبط في الصحراء عاريا سعيا لجزيرة القرود المنعمة . يستبصرها علي بعد ويجري نحوها يركب ذنب الريح ثم يدرك أنه في صحراء لا محيط فينفجر لحظتها ويتلاشي . تعيد الطفلات رماده بعناية إلي السرير وتغطيه ، وتقفل نور الغرفة ثم بابها .

ومر عليه . '' آسف لم أنزل لك البارحة . اضطررت للنوم لأن عندي شغل الآن . ''
- ولا يهمك يا هاني .
- سلام حاليا .
دفع للعامل حق الساندوتشات . '' ماذا تأكل في يومك ؟ ''
أومىء ك للفة السندوتشات بيده . '' لا تتغدي ولا تتعشي ! ''
- لا ، أحيانا أشتري ما آكله من البقالة أو من الشارع الرئيسي .. لكن آكل هذه السندوتشات وأنام وهكذا .
- أتريد سلفة ؟
- لا .
- سمعت أنك لا تقبل إكراميات من السكان بعد أن تجلب لهم طلباتهم .
- نعم . وهذا يضايقك ؟
- أبدا ، لا يضايقني .
- لو يضايقك قل .
- ماذا أقول ؟
- لو بيننا مشكلة الآن.. أو لو تريد أن يكون بيننا لنحلها .
- طبعك حامي .
- ليست مسئلة طبع صدقني .
- أنا أشتغل هنا منذ ثماني سنوات . أتعرف معني ثماني سنوات .
- يعني ؟
- السكان يعطونها لنا ليساعدونا ليسوا مضطرين .
- أن تفكر أنهم سيفضلوا وقتي لأشتري لهم عنك .

- ما فكرت فيها هكذا . أنا أحدثك لما لا تأخذ طالما ما معك الآن .
- من قال لك أنه ليس معي .
- باقي المال الذي نأخذه من السكان يعطوه لنا عن محبة هذا كان قصدي من الكلام .
- طيب .. لا تزعل من كلامي .
- عادي .
- سأطلع الآلة والساعة للغرفة وأخرج لأتمشي قليلا .
- يلا ، شوف للدنيا .

تثائب ك ودمعت عينيه . لا أفهم شوارع الغردقة . رأي طفلة ، وقف علي جانب الطريق يطالعها تمد أكياس المناديل بأصابعها نحو نوافذ السيارات من كيس أسود معلق بساعدها الأيسر . عبر الطريق نحو الطوار الآخر يراقبها . ترجع إلي الطوار حينا تتدبر وتهيء ، علي مبعدة خطوتين كانت . أدارت رأسها تعاين ما حولها فتلاقت مع عينيه لحظة ثم عادت برأسها للسيارات . ربما فكرت في نفسها ثم ألتفتت إليه ومدت كيسي مناديل عارضة . أخذهما منها ومد لها ورقة عشرة جنيهات . " خذيها لك . "
أبتسمت وخطت عنه علي الطوار فتابعها . ألتفتت لحظة إليه حين نظرت للطريق . " عاوز الباقي . "
هز ك رأسه . وتهيئت لتقطع الطريق ثم فكرت وأمدت له كيسين أخرين فأخذهما ومد يده في جيبه . " لأ ما أنت أديتني خلاص . "
أخرج عشرة أخري . " لا خذيها أيضا . "
ابتعدت ، تردد قليلا ثم لحقها . " عايز إيه . "

- تعالي نقعد علي الناحية التانية نتكلم أنا وأنتي .
- لأ أنا عندي شغل .
- كم كيس مناديل معاكي في الكيس ده .
- ماعرفش .
- عديهالي .
لم تفهم عليه . '' هاشتريهم منك ونقعد نتكلم شوية . ''
- لأ أنا عندي شغل .
- ما أنا هشتريهم منك .
- كلهم .
- لو كان معايه تمنهم .
- خد عدهم .
- تديني الكيس وتاخدي مية جنيه .
- مية جنيه كتير .. ماشي .
تبادلا . '' تعالي نقعد هناك . ''
- لأ أنا عايزة أروح .
- إحنا مش إتفقنا .
- عاوزة أروح بدري .
- ماشي .
- ورايا مدرسة .
- ماشي .. لو كنا هنقعد مش هنطول أكتر من عشر دقايق .
- طيب . نقعد فين .
- هناك علي الرصيف نتكلم شوية .
عبرا الطريق . '' هنا . ''
- أنتي أسمك إيه .

- هويدة .
- أشتريلك حاجة تشربيها من المحل ده .
- لأ .
- أنتي صايمة .
لم تفهم عليه . '' متأكدة أنك مش عايزة حاجة تشربيها . ''
- مش عايزة يا ابني .
- أيديكي صغيرة .
بستطهما أمامها . '' صغيرة . ''
- عشان أنتي صغيرة .
- وأيديك عشان أنت كبير .
- استني هاشتريلك حاجة تشربيها .
- مش عايزة يا ابني والله ، يوه .
أشتري ك زجاجة لتر عصير جوافة . '' إيه دا كله . ''
فتح الغطاء '' هنشربها أنا وأنت . ''
- لأ أنا صايم .
- هو إحنا في رمضان .
ضحك . '' لأ اتفضلي . ''
- مش هقدر أشربها كلها .
- اشربي اللي تقدري عليه دلوقتي .
ورفعتها لفاهها بيديها وراقبها لثوان . '' يا ابني ماتبصليش هزور ''
.
- استني .
وأضاف تشكيلة أخري من البقالة في كيس . '' إيه ده . ''
- كليهم وأنتي بتشربي . . أفتحلك منهم .

- لأ هاكلهم في البيت بقي .
- أنتي بتروحي الساعة كام .
- لما الضهر يأدن .
- طيب لسه بدري الساعة تسعة .
- لأ أنا عايزة أروح بدري .
- هتمشي دلوقتي .
- هقعد شوية كمان .

وعندها خطر له أنه لم ينتظر مرور مدام بلسمة وبيسان عليه اليوم .

- أنتي بتشتغلي هنا كل يوم .
- وفي الشارع اللي وره ده . هتيجي بكره .
- لأ أنا مش من الغردقة .. بس ممكن أبقي آجي أشوفك في مرة تانية .. هتقولي لمامتك علي ده .

لم تفهم عليه . '' بتروحي بكام . ''

- ساعات تلتين وساعات أربعين جنيه .
- أدي لمامتك أربعين جنيه وخلي معاكي الباقي .
- ليه .
- براحتك .
- أنت عندك فيس بوك .
- لأ .
- في مرة واحد صورني وقالي أنتي جميلة وماينفعش تشتغلي .
- أنتي فعلا جميلة .

- تعرف أنا كنت بزاكر في البيت .. فيه ناس بيقعدوا علي الأرض يزاكروا ويبيعوا مناديل عشان الناس تديلهم فلوس .. ما أنا برضو بزاكر في البيت وبشتغل .. الشغل مش عيب .
- صح .. مامتك بتشتغل .
- آه .. أنا بحب ماما قد كده .. تعرف يا ابني أنا والله أعرف رقاصة عندنا في الشارع . وماما بتقولي إنها مش هتسيبنا وتشتغل زيها عشان بتحبنا .
- بس أنتي جميلة جدا .
- يا ابني والله الشغل مش عيب .. إمبارح أشتريت تلت كشاكيل عشان المدرسة . هي بدأت بس أنا لسه مارحتش . وهروحها بس مش دلوقت . أنا في سنة تالتة دلوقتي .
- مالها الكشاكيل .
- تعرف الكشكول الخمسة وسبعين صفحة بكام .
- كام .
- إتناشر جنيه والله .
- وشعرك جميل .
- أنت برضو هتقولي شعرك جميل .. فيه واحد بيحبني ويقولي هنتجوز لما نكبر . وهو أصلا أكبر مني بسنتين . وكذا مرة ييجي يشتغل معايا .
- وأنتي بتحبيه .
- أحبه إيه يا ابني أنا لسه صغيرة .
- بيقولك شعرك جميل .

- ويقولي عاوز أحسس علي شعرك ويروح بايسني ويطلع يجري .. ويمشي ورايا ويقولي عاوز أعرف أنتي ساكنة فين عشان لما نكبر نتجوز ، وأجري منه واستخبي في الصيدلية .
- بيضايقك .
- يا ابني ده في مرة جابلي وردة كانت مرمية وقالي خدي الوردة دي عشان بحبك .
- أنتي وردة يا هويدة .
- أيوه وخدت الوردة ورميتها .
- ليه كده .
- أنا بحبه بس الوردة كانت قديمة .
- أنتي مش قولتي مابتحبهوش .
- يا ابني والله مابحبهوش بس هو بيشتغل معايا ويديني فلوس لما يكون معاه كتير .. تعرف ماما لو عرفت مش هتخليني أشتغل هنا .
- مش هقول لحد .
- ماتقولش لحد .
- ما أنا بقول مش هقول لحد .
- همشي بقي عشان أروح بدري .
- ليه ما أنتي قاعدة معايا .
- ماشي .
- أنتي عايزة تمشي .
- أنا عايزة أروح بدري .. هتيجي بكره .
- لأ مش هينفع . بس هاجي في يوم من الأيام وأشوفك .. هجيبلك سلسلة دهب ليكي هدية .

- سلسلة .
- اللي هي بتتحط هنا حوالين رقبتك .
- أمتي .
- في يوم من الأيام هتلاقيني جيتلك .
- لو مالقتنيش هنا روح الشارع اللي ورا .

ورفضت أن يعيدها الكيس وراقبها تبتعد بما تحمله .

قلب ج عينيه بأركان الغرفة باهتة الإضاءة وهو ممدد علي السرير يسند ظهره لوسادة ومنكبيه وذراعيه مجبسة . تسللت بيسان للغرفة ذراعها اليسري معلقة لرقبتها بحامل ذراع تحمل بيدها اليمني علبة وبوجهها كدمة . أشارت له ألا ينبس : '' هش . أتيت من وراء ماما . ''

جلست جانبه علي السرير وراقبها ساكنا تفتح علبة المكياج وتعملها في وجهه لدقائق طوال ، ومع لمساتها الأخيرة دمقت مدام بلسمة الغرفة تحمل بيديها صينية طعام . '' أنتي يا بيسان .. الدكتور قال لا تقومي من السرير . ''

لملمت بيسان في سرعة أدواتها وأنسلت من الغرفة . طالعت للحظات وجهه في استغراب . '' لما تركتها تفعل بك هذا ؟ ''

ابتسم ج لا يحر ردا . وضعت الصينية علي طاولة للسرير وقربتها إليه . '' سأأكلك أولا كيلا يبرد الطعام ، ثم أنظف وجهك بعدها . ''

وجلست علي السرير يمينه تقابله . '' أتعرف ما مشكلة المصريين مع الطعام ؟ ''

هز رأسه أن لا . '' أنهم يأكلونه بسرعة كما لو أن أحدا يطاردهم ، وثلثي لقمتهم من العيش . لذا لا يهضمون ولا يستذوقون جيدا . ''

فهم ج عليها وأوميء برأسه . وشرعت تلقمه بالملعقة . '' سمعت قبل البارحة في المستشفي أن حضرتك كنتي في العناية المركزة . ''

وضعت يسراها علي قلبها : '' لا تذكرني .. مجرد أن أتذكر.. كان كابوسا لم أفهمه للآن . ''

- آسف .

- عيد ميلاد بيسان كان قبل البارحة .

- أعرف .

- وما حصل أن والدها كان يحملها علي ذراعه ويرقص بها باعتباط مع الأغنية . وجاء عند النافذة المفتوحة بالظبط وتزحلق للخلف ففلتت من ذراعيه .. يا الله !

- آسف .

- ربنا يحبنا .

- نعم .

- والآن كل دون كلام .

تثبت عينيها علي الملعقة تملأها من الطبق ثم نحوه حتي فمه دون أن تنظر لعينيه كانت ، وكان يتملاها أثنائها في دعة . وبعد نصف ساعة رفعت الطاولة . '' قل شيئا . ''

- قبل خمسة أو ستة سنوات كان عندي حلم هو أن أركب عجلة بمدينة لا أعرف طرقها وأقودها دون هدي .

- والآن .

- مجرد إسترجاعي للفكرة يوترني .
جلست جواره تأكله قطعة جاتوه ، حثته بإيماءات أن يواصل الكلام فاستفاض لدقائق حتي أتي ما بالطبق فأشارت له أن يمسك فسكن . وبالمناديل المبللة أخذت في تركيز تمسح وجهه وبين الحين والآخر تنظر في عينيه لحظة كأنها تعاينه . سرت دغدغات من خلف رأسه لقذاله ، وأثلجت ظهره . أستغرق تنظيف وجهه ساعة حتي تونست عيناه . أنتهت ورفعت يديها عن وجهه ، ورنت إليه لدقائق تسترضي عمل يديها . ثم نهضت وسلت الوسادة في حذر من ورائه ليتوضع للنوم ، وحملت الصينية وفتحت الباب . '' والآن نم . ''
أغمض عينيه ، وأخفت الإضاءة . وسمع صوت الباب يغلق برقة . وبعد دقائق دخلت مجددا وفتحت الإضاءة لكنه لم يفتح جفنيه مدعيا الغفو وتسمع خفخفة وضعها شيئا علي الكومدينو جانبه وعلم أنها الآلة . ثم أخفت الإضاءة أخري وأعادت الباب . وظل هو مغمضا جفنيه لا يفتحهما يسع للذ .
عند العاشرة والنصف صباحا هبط ك بالمصعد للدور الأول عند مكتب الأستاذ حمدي . طلب منه إعارته مرتب الشهر مقدما لنفاذ ما معه فاعتذر عن ذلك . '' وبمه سأجلب طلبات السكان ألم يكن معي مالا أولا ؟ ''
- ساضع بالدرج أربعمئة جنيه تأخذ منها لدفع المشتريات ثم تعيد ما أخذته .. وسأراجع المبلغ كل يوم لأتأكد من تمامه .
- أظن حضرتك ينقصك أن تعاملني بأسلوب أحسن .
- أقولها كيلا تحسب أنها لجيبك .
- أتراني سارقا .

- أتفقت معك عندما أتيتني أن دفع المرتب بعد عمل الشهر لا أحد..
- طيب طيب .. ولكن تكلم معي بأحسن من هذا .
خرج من عنده ورقي بالمصعد لغرفته وحاول أن ينام . وهبط بالمصعد عن الإستلام يحمل الآلة ورزمة الأوراق والساعة . " لمه روحت لحمدي أولا ولم تأتيني ؟ "
- لا يهم .
- نسيت أن أخبرك أن حمدي هذا أشبه باليهودي .
- ما لهم اليهود ؟
- أعرف أنه أحرجك ، لا تعتمد عليه في شيء .. بالدرج الثاني ألف جنيه سلفة إلي الشهر القادم .
- لا تضايقني قلت لك .
- سلام .
ومضي عنه . فتح ك الدرج ووضع المبلغ بجيبه . فكر أن يعيد رؤيتها في الصباح الآتي ، وداكره ما واعدها به فعدل وقرر أن يؤجلها .
السرير . الجادين لعملهم . " صباح النور . "
انتظر عبورها ، عقد ذراعيه يقفقف من برد أنسل . مادت رأسه وهو جالس ، تغطي ببطانية . طن المصعد فرفع جفنيه ليراها . " صباح الخير . "
- صباح النور يا مدام بلسمة .
- بردان ؟
- أحيانا تبرد في الصباح .
- لمه ترتدي دوما نفس اللبس .

- ما عندي غيره .
أبتسمت . '' اكتب . ''
- حاضر .
وتوجهت للبوابة . فكر في شيء يبدو أنه نساه لكنه يلح بتذكره . أغمض عينيه وكاد ينام ، ثم تنبه أنه كان في إنتظار رؤية بيسان ولم تكن معها . نهض وحمل الآلة ورزمة الأوراق والساعة وقبل أوصاد باب المصعد عاد وجلس إلي الطاولة حتي حضر العامل الآخر فأخذ منه لفافة السندوتشات ولم يدري لم تطوع وحمل الآلة عنه معه حتي السطح وهبط مجددا . أوصد طرباس السطح ثم الغرفة ، ووضعهما علي السرير وانضوي وغفي بعد ثوان .
تقلب علي السرير حتي تشبع من النوم . فتح عينيه وبعد دقائق لاحظ لفة السندوتشات علي الأرض عند الباب ، أكلها علي حالها . بكي برهة ، ثم خرج للسطح وفتح اللمبة . رنا لكل محيطه ، واقترب من السور ونظر للأسفل عند البوابة . قرفص يسند ظهره له وضم بذراعيه ركبتيه لصدره وأسند رأسه لهما . وقبل حلول الثامنة هبط دون الآلة والساعة للمدخل ، لم يجد العامل الآخر وجلس إلي المكتب ينظر ليديه أمامه . أتاه صوت من الجهاز وعلم أنها مدام بلسمة لكنها كانت تسأل العامل الآخر عن أن كان شخصا ما قد نزل ، تردد ولم يجبها . وقع علي الحضور ثم وقع بإسم الآخر علي إنصراف لأنه نسي فعلها . ودخل هذا من البوابة . '' الشوط الأول أنتهي ولا زالت صفرا صفرا . ''
- من يلعب ؟
- مصر والكونغو . لو فازت مصر اليوم سنصعد بالنقاط لكأس العالم .

- مضيت لك علي إنصراف . ومدام بلسمة نادت عليك .
- صحيح ، تريدك منذ ساعة .
- أنا ؟
- نعم . قالت لي لما تنزل أقول لك أن تطلع لها ، ونبهتني ألا أنسي .
- فيمه تريدني ؟
- لا أعرف ، صراحة .. تعالي معي شاهد المباراة .
- لا . روح أنت .
مضي للخارج وهو يهتف : " يا مصر يا مصر . "
رقي ك بالمصعد ودق علي الباب . فتحت وأفسحت له . " ادخل ".
استجاب لها بعد لحظة تردد وما أن خطي وأدار رأسه ناحية إشارتها بالتوجه حتي رآه يجلس علي الكنبة يشاهد التلفاز ، إذن فهو والد بيسان . " تعالي أقعد .. الشوط الثاني سيبدأ والنتيجة صفر . "
- من يلعب ؟
- مصر والكونغو ، وأن كسبنا المباراة نكون قد تأهلنا دون الحاجة لمباراة غانا القادمة .
خرجت بيسان من الغرفة . " يا بابا أنا كلما أقول مس.. "
وتلعثمت لحظتها . " تعالي يا بيسو .. من كتب لك حدوتة العصفورة بيسان . "
تدارت جانب هاني عنه . " أعجبتك ؟ "
حضرت مدام بلسمة عند سؤاله . " أعجبتها ! ندعي عليك بسببها ؛ كلما تنام تجبرنا علي قرائتها . "

تناول من الصينية كوب عصير ليمون بارد ، وجلست . طالع بطرفه الشقة . بدأ الشوط الثاني ، وانتهز إستغراقهم ليديم النظر ، وجرع ما بالكوب . ألتفت لبيسان فألفاها تنظره فحادت بعينيها عنه وثبت بصره عليها فتلاقت أعينهم للحظات . سجل هدف التعادل . '' أووه . ''

أسها إليها بعينيه ولوي شفتيه فنظرت له مدام بلسمة وشخصت عينيها . لف هاني سيجارة ، نهته فطلب من بيسان أن تدخل الغرفة ففعلت .'' سيضيعها أنا أعرف ، سيضيعها . ''

أنتهت المباراة . '' انتظرني سأنزل معك . ''

خلي المكان لهما . قام ك واتجه نحو ركن الأيقونات المعلقة بالجدار يطالعها في إهتمام . '' يعجبوك ؟ ''

أوميء ك . '' نسخ مرسومة باليد . ''

- ومن هذا ؟

- قديس عندنا إسمه انطونيوس الكبير .

- لما كنت صغيرا وكنت أزور بيت جدتي كان به لوحة لطفل يبكي هكذا .

- لا أعرفها .

- ليست مقدسة . لوحة مشهورة لطفل يبكي لوحده .

- ولمه يبكي هذا ؟

- كان يلعب مع أصحابه . وشدته أمه من وسطهم وقالت له يلا تعالي بسرعة غير لبسك وسرح شعرك ليرسمك عمو . فقعد يبكي أمامه .

ضحكت . '' بصحيح ؟ ''

- لا .. هذا ما كنت أحسه لا أكثر .

- ماذا قالت له ثانية ؟
- يلا تعالي بسرعة غير لبسك وسرح شعرك ليرسمك عمو .
وعلا ضحكها وشاركها ك المرح ، وكانت ضحكته محببة للنظر . جاء هاني بكيس به ملابس . '' علي ظني ستأتي علي مقاسك بعد صغرها عليّ . ''
نظر ك لها ثم.. '' أتيتما بي لتهيناني . ''
- أوف ، أي إهانة . أنت أخي الأصغر .. إلا إن كنت لا تقبلها عليك .
هم ك بالتوجه للباب فأمسك هاني كتفه يضحك ينظر لها . '' ماذا أقول له هذا ! ''
- لست متضايقا . شكرا علي اليوم لكني سأنزل الآن .
جذبته من ساعده . '' تعالي معي للبلكونة . ''
أنقاد لها وأغلقت بابها عليهما . '' وما فيها ؟ ''
- أنا فقط..
- أنا فاهمة .
نظر لها . '' لكنك هكذا تحرجنا . ''
- لا أكبر الموضوع ، لكن سأتضايق لو قبلتها .
- خذ الكيس لأجلي .
- حاضر .
ناولته الكيس وخرجا من الشرفة . وبالمدخل عرض عليه هاني أن يرافقه مدة ساعة فعلل بطلبات السكان وحمدي ، وجلس علي الكرسي بعدها والكيس عند رجليه . تدبر ولم يستبر في نفسه نغصة تجاه هذا ، إلا أنه لن يرتدي ملابس أحد أيا يكن . أعتاد منها أن تقشعر لمجرد خاطرة كتلك ، لكنها لا تنفر . خذ الكيس

لأجلي ، كيف يعصي رجائها أو يتردد . وهلهلة الإحتفالات تصله ، وبيسان تغفو علي سماع متعاود لقصته - قصة العصفورة بيسان يحكيها لبيسان الطفلة شاب قبل أن تنام ثم يفاجيء بعد إنتهائه أنها قد نامت أثنائها فيقبل خدها ويغادر الغرفة . ربما تأتم به هي أيضا عند إنتهائها . لقد عمل علي أن تكون كتنويم بإيحاء . جمل طويلة في البدء ثم تنحل العقد مطواعة وتقصر العبارات نحو النهاية ، خيال مريح . ليت الكتابة الأخري كيسر تأليف الحواديت ، لكنها مؤرقة للذهن والأحلام . وفرك براحة يده وجنته لحكة بها .

أغبش الليل ومن موضعه بالسطح أستبين أديم البحر شيئا يتطرد بشيء حتي إنجلت عنه الوحشة ، إلا أنه لم يرضيه مع ذلك . وكز علي أسنانه ومسح بيديه وجهه . دخل إلي الغرفة وأفرغ الكيس . رفعها لوجهه ، غسلت بعناية . أهتمت بأن تفعلها له ثم طوتها بالكيس وفكرت في اللحظة التي يخرجها منه . لم لا يحنق علي نفسه أو يقشعر . وانتقي منها الجاكت الجينز فارتداه ، ستمر عليه فتراه به فتبتسم ولا تأت علي ذكر هذا . سيشكرها فتفهم عليه وتمضي ، وبيسان ستطالعه بخجلها . هو كاتب قصة العصفورة بيسان يحكيها للطفلة بيسان شاب قبل أن تنام ، ومرر يديه علي الجاكت . خرج للسطح ونظر أسفل نحو البوابة ، أديم البحر ابتعد عني . وهبط بالمصعد وجلس ، تنهد . وشعر سيزيف أن إدراكه لنفسه ينسل منه في آلية ما يؤديه فحاول أن يستمسك بثباته ، وكانت هذه هي أعني الآلام . ولم يحاول أن يستمسك بإدراكه لنفسه بعد . وقد صارت الصخرة روحه حتي نازعته أن ينسجما . وبعد مئة عام سيكون شابا ما يتسكع بالأرض مع

الأحلام ، وهذا الوعي هو حزني إذ أن وجوده ليس وجودي . طوال السنون الماضية نازعت شعور أني أحتضر . كوردة تذبل فتمضخ بالعطر والرجاء تعاملت مع نفسي . وبقي لدي إحساس مبهم أن شجني سيوصلني لنقطة ما ، لحظة تجلي أو.. '' مجرد حالات يا صديقي . مجرد حالات هي الحياة .. الإنطباعية أو مهما يكن إسمها . ''

فإن كان في صدري كرب أقنعت النفس أنها مسئلة وقت إلي أن يرفض عني . إلا أني لم أعد استمتع بمعاناتي بعد . ومع ذلك لا أتقبل أن كله لن يوصلني للحظة التجلي تلك مهما توهمت لأفأل فيها . ومرة كان عليَّ أن أفعص صرصارا بحذائي . لكني أحرقت الحذائين بعدها فوق سطح البيت ، وكان يوم شتاء ما .

ولم يعد يود أن تراه بهذا الجاكت . من الجيد أنه لم ينزل الآلة والساعة معه هذه المرة . قام وصعد السلالم حتي الدور الثامن ، آلمته ركبته فاستراح علي الدرجات . وقرر أن يكمل لغرفته صعودا ففي الفعل الوسيلة . وبعد ثلث ساعة نهض وتجاوز الأدوار وأوهم نفسه بعدها أن الدور الآتي هو قبل الأخير وهكذا ، حتي أرتجفت ركبتيه وانطرح علي بسطة السلم . فرك بيديه وجهه بعنف . بشرتي لا تنغصي عليّ . أكمل إلي أن تنفس الصعداء . وبعد وصد باب الغرفة أستدار للسرير وفكر أن يخطو ثم يغمي عليه في لحظة أنكبابه نحوه ، فعل وأغمي عليه . عقرب الثواني بالساعات دقات . ومن فتحة في ملكوت السماء نبذ منها فهوي نحو الأرض ، إما اليابسة أو البحر سيتلقاه وهي النهاية . واخترق السحاب الأبيض فندي جلده وابتسم . الآن ، قطن . تلقاه قطن ناعم ممتد وترغد . فرك رأسه به يستشعر ملمسه ، القدمين

الساقين الفخذين إلي الظهر الذراعين واليدين والأنامل المنكبين ورقبته فرأسه . رائحة عطرها تنشق . المطاردة السابقة بالملكوت أضنت عظامه وشعر بالكهرباء تنسل عنها ، وذرت عينيه المغمضتين . وتقلب إلا أنه لم يتكثف تحته فغاض به وأرقه إلي أن توضع كما يريد . وفرك ذراعه وحاول النوم . ثم فرك جانبه ووجهه ، حكة ببشرته كانت . وأدرك أن القطن مسوس بالهوم . ولم يتقبل ذلك . كان طفلا وعثر علي بريزة في الشارع وأشتري بها غزل بنات وأخذ يستذوقه إلا أنه لحظ السوس به فلم يتقبل هذا . وقرر ألا يراوده في خياله مرة لاحقة . وتقلب ك وأنفاسه تتلاحق ، فرك بيده وجهه ثم هب من النوم بحشرجة . عليه أن يغسل وجهه فورا . هبط بالأسنسير واتجه نحو المخرج ، ناداه العامل الآخر وكان يجالسه أحدا ما لم يتبينه فأشار له بطرفه أنه سيرجع . مضي بخطو آزف إلي المسجد نحو دورة الوضوء . وضع رأسه تحت الصنبور لدقائق إلا أن الحكة إهتاجت . نظر في المرآة ثم حول بصره للصابونة . أدام إليها النظر . صابونة لوكتها الأيادي وبها شعيرات . صابونة لوكتها الأيادي وبها شعيرات . أقشعر بدنه حتي أنتفض . وضع يده اليسري علي فاهه ثم عض أصابعه ، تدفقت زفرات حدقتي عينيه المتسعتين . لو أن له قفازا فيمسكها ويغسلها بالماء ليقشط عنها طبقتها ، ورغم أن ذلك لن يرضيه تماما . أفرغ كيس مناديل وتناولها به . قشعريرات رجفت بظهره حتي أنتصب عضوه . غسلها دون لمسها بالمناديل المهترئة بللا . عندها خطر له أن باستطاعته شراء صابونة جديدة ليستعملها ، بيد أن هياج بشرته وفركها قد أحمر وجهه . ربع ساعة حتي ضن مرفقيه ، وتأكل

وجهه . غسله ، غطاه عدا العينين بالرغوة وكز علي أسنانه . ثم أحني رأسه تحت الصنبور وقتا . أشتري صابونة وأكياسا وعاد للبرج . كانت تجالسه علي الطاولة طفلة وبأسنانها علكة . إتجه نحوهما . '' نوران إبنتي . ''

طالعه للحظات ثم إليها . قال شيئا عن مداومتها للعلكة بفمها ، وحثه بغير مباشرة أن يؤكد كلامه أن ستضر أسنانها . سألها ك فأجابت أنها تنشط عقلها ، وأنها ذكية في الرياضيات لذلك . قدم لها كيسي مناديل قبلتهما منه في الأخير . غير أن العامل الآخر أستعجلها الذهاب فلم يشبع عينيه منها وقد كان يود . وطن المصعد وابتسم له هاني . '' سألف سيجارة أدخنها قبل أن أخرج . ''

- أيمكن أن أجربها ؟

- يا سلام ، من عينيَّ !

وناوله لفافته ليلعقها بنفسه فراقه ذلك منه . '' أنت لا تسحب أنفاسها لصدرك . ''

- كيف ؟

- جيد أنك لا تعرف .

- لكنها خفيفة الدخان . مرة وأنا صغير شربت سيجارة كليوباترا وكدت أختنق .

- لهذا أدخنها .

- شكرا علي الأمس .

- العفو .

- سلم لي علي بيسان .

- مللنا من قرائة القصة عليها .

ثم ذهب عنه وقرر هو أن يشتري كيس التبغ هذا وورق البفرا وعلبة كبريت . وفي المحل أشتري علبة علكة جديدة سيهديها لنوران خلال العامل الآخر . لف وشرع يدخن وخطر له أن يكتب لما لا نهاية . فرقي بالمصعد ، وأضاء اللمبة وخطي لغرفته . جلب الآلة ورزمة الأوراق ثم توقف وسط السطح ومحمولاته بذراعه اليمني وأنهي السيجارة برويدة وهو يطالع موضع البحر من عينيه المدغوش . ورمي السيجارة عندما لسعته الفلة جانب السور ورنا إلي قذوتها مليا ثم رفع رأسه للنجوم وإلي البحر المدغوش عنه بدعسة الليل الأهيم . وهبط إلي مكانه فوضع الآلة أمامه ثم شرع يكتب وحفشت السماء علي غرة ، ورغم هيامه بالمطر فلم يفارق موضعه . وتناهي لسمعه رزيزه وأقدام تسعي للإحتماء منه والعودة لبيوتها . لف في لهوجة سيجارة يدخنها ووصل العمل علي الآلة . ألتفت نحو المدخل فرأي فتاة سمراء قصيرة الشعر بعقصة جانبية قد ولجت البرج إتقاء البلل رغم أنه نالها . لم تنظر له وظل علي كرسيه يدخن ويرسل لها طرفه إلي أن تلاقت أعينهم وقام إليها . مد لها كيس مناديل جديد فأخذته وعينيها غاضة وجففت بها رقبتها . ضامرة الجسد هي لكن مكمنها في إيحاء أطوارها . '' تعالي اقعدي علي الكرسي . ''

- شكرا ، لا .

- ستطيل لن تتوقف .

طاوعته وخطت للمكتب وتوقفت لحظة رأت الآلة فتقدم وجذب الكرسي من موضعه لجانب الطاولة لتجلس ، وجاورها هو . '' سهام . ''

- إيه ؟

- إسمك سهام .
استغربت بابتسامة . '' فما إسمك ؟ ''
- زينة .
ردد إسمها مرتين . '' أين تسكني ؟ ''
- قريب من هنا وكنت راجعة ، لكن المطر .
- ما له ؟
- أرعبني .
- المطر لا يرعب .
- المطرمرتبط عندي بذك..
- اكملي .
- لا يهم .
تملاها وهي غاضة طرفها ترفع يدها بين الحين وحين تشم المنديل . ثم اقتعد طرف طرف الطاولة . '' أتحبي الشاي ؟ ''
- نعم .
- أي نوع سجائر تشربين ؟
أخرجت علبتها من جيبها . '' كليوباترا . ''
عرض عليها أن يلف لها سيجارة . '' لا ، سأشرب مما معي . ''
- انتظري أن أعد الشاي أولا .
وهيأ الكوبين . كانت يدها ترتعش عند رفعها المنديل . '' بردانة ؟ ''
نفت برأسها . '' لم ترتعش يدك ؟ ''
- أنا هكذا عندما تمطر .
تخيل أنه يمرر أصابع يمناه في شعرها من عند قذالها . قبلها فضمت شفتيها برقة . غير أن شفتيه لم تندي بشفتيها برغم

مطاولته التقبيل . كانتا جافة ولم تلعقهما بلسانها . وظل يقبلها برقة كما ضمة شفتيها ، ومطواعة له كانت تتهيب خطوته القادمة . ورغب صادقا أن يستشعرها الأمان . وناولها كوب الشاي فأشعلا سيجارتهما وراحا ينفثا الدخان . " مرتاحة ؟ "
وانتظرت عبور داخل للبرج ثم أجابته : " نعم . "
- لمه لا تنظري في عينيَّ ؟
- لا أحب النظر في عيني أحد ، أتوتر .
- أنا أيضا عندما أُسأل لا أقدر علي إستجماع جواب من فوري .
- توتري غصب عني .
- تعاملي معه بتسليم .
وودع صمت وقتا . " كوب الشاي الذي تشربيه مغسول بعناية من عند موضع الشفتين . "
- أعرف .
- أحب غسل ما سأستعمله بعناية .
- وأنا أيضا .
- طلب غريب أن تنظري في عينيّ .
- بدأت تقلقني .
- آسف .
- للحظة واحدة فقط .
- سأستكفيها .
وتلاقت أعينهم ثم غضتهما كما كانت . " لا تشرب غير الشاي هنا ؟ "
- للأسف .
- ولمه لا تشتري مشروب غيره ؟

- أتعرفي أني لم أفكر في هذا . رغم أني ما عدت أستسغ الشاي . ولكن ماذا أشرب ؟
- بن وتشرب قهوة . لاحظت أنك تكتب علي الآلة .
- نعم ، أتسلي .
- فنجان قهوة وسجائر ملفوفة وآلة كاتبة . منتهي الإلهام .
- لا أعرف إعداد القهوة .
نظرت له لحظة . " تهذر ؟ "
- أبدا .
- أشتري البن وأعلمك الآن .
- أعلم أني سأرجع ولن أراكي .
- في منتهي الذكاء .
- أكنتي ستسرقي أوراقي ؟
أبتسمت مغلوبة . " لكني والله كنت سأرجعها . "
- لم يكن هذا ليضايقني لعلمك ، بل العكس .
- إذن فاشتري البن .
- لكن أريد محاورتك أكثر .
- سترجع لتراني ، ثق .
وعند عودته كانت . " .. أم أنكي لا تنظري في عينيَ من لا تهتمي بوجوده ؟ "
- مشكلة نفسية عندي منذ الطفولة .
- أتظني أني شخصا يُهتم به .
- التوتر عندي غصب عني .
- أسألكي عامة .
- لم أعرفك بعد .

- ماذا يكون فيّ بشد إهتمامك ؟
- وستجعلها فيك ؟
- بمجرد أن تقوليها سأكونها .
- ولمه تريد أن أهتم فيك ؟
- الحاجة للإهتمام غريزة ، قولي .
- مجرد هذا الحوار أجذب إهتمامي إليك .

ونزت الخواطر فأستأذنها ودار للآلة ومال عليها .

وبعد التشبع بطلوة الصباح وبدأ الجادين لعملهم هيء ك سيجارة وعود كبريت يشعلها به لحظة أن يلمح مدام بلسمة في المصعد . بساما للقاء الأمس كان ، وكتب بإستفاضة عما أجدته زينة مرحة الضحكة في نفسه . ولهما لقاء ثاني تواعدا . وقدح الزند صدفة مع خروج مدام بلسمة من المصعد . " أوقعك في حفرة السجائر ! "

- تسلية .
- ستكون تسلية فعلا عندما لا تقدر علي التنفس جيدا .

ولم يحر ردا . " لا تشربها . "

- حاضر . آخر سيجارة لي .
- أتضحك عليّ ؟
- أقسم لك .
- اشرب مكانها عصيرا أنفع . وبدلا من القهوة تلك .
- لم أكمل الكوب هذا حتي .
- لن تشرب السجائر كما وعدتني ؟
- نعم .
- وطلب آخر رحمة بي .. اكتب لبيسان قصة ثانية .

أبتسمت شفتي ك . '' سأفعل . ''
- لو كل أسبوع واحدة ، يا سلام !
- سأفعل .. أين بيسان ؟
- ألم ترها مع هاني .
- سلمي لي عليها .
- يصل .. لن تشرب سجائر مجددا ؟
- آخر واحدة لي في يدي .
- سلام .
أخذ يضعها بين شفتيه بين فترات ليتشبعها . ومنذها كتب إثنتا عشر قصة متتابعات يناولها لمدام بلسمة كل صباح بمرورها فتطالع الصفحة الأولي لثوان عنده عن حكايات تنفرد كل ليلة لبيسان الطفلة قبل أن تنام ، يقصها شاب عليها . وكانت كل قصة منهم أمتع سماعا عن سابقتها . وكان السؤال يبقي معلقا بكل قصة أستكون بيسان نائمة بعد إنتهاء الحدوتة . '' أنا لا أكون نائمة والله . أكون علي وشك النوم فلا أفتح عينيا .. احكي لي وسأسمعها كلها . لن أنام صدقني . احكي ، احكي ، احكي . ''
سأطنيء ما في نفسي لنفسي . في الفرندا كنا ليلا نتسامر ، وحين يضحك يُظهر صفي أسنانه الصفراء . طلب مني للمرة الثالثة أن أقلد الرجل الذي رأيناه يراقص الهواء فلم أمانع . وتوشج حديثنا حتي أتي : '' أتعلم ما أريده الآن ؟ ''
- وكيف أعلمه وأنت من تريده .
- أن يضربني أحدا ، فقط أن يضربني . بهذا يقدم لي جميلا .
- تبغي الحالة ما بعد الضرب ، تعني ؟
- بالظبط . أن يفعلها ويتركني أستجمع زمامي بعدها .

وعندها وقف وعرض عليَّ وأقنعني فوقفت وصاقبته لكني ببساطة عجزت . مضيت للمطبخ وصببت الكاكاو وجلبت الصينية معي . وبينما اللحظة بعد أن وضعتها علي الخوان إذ بي أستوعب أنه طوقني بذراعيه ويسند رأسه لظهري ، سألته فلم يرد . '' عاصي ! ''

- هيا ، كف عن التمثيل أعرف أنك مثلي .
- مثلي ؟
- إن كنت لا تحب تعبير شاذ .
- اخطأت .
- استسلم ليداي فقط .
- أنت تعتدي عليّ الآن لعلمك .
- لا تمثل .
- لم يلامس جلدي جلد رجل .
- إذن فأنا الأول .
- أتظن لو أني مثلي كنت سأقبل بهذه الطريقة .
- اهدأ ، لن نفعل شيئا .
- ابعد عني يا عاصي حالا .
- لا تحزني .
- لست مثليا قلت لك .
- طيب . لست مثليا قلت لي .
- ستضطرني أن أدافع عن نفسي .
- لمه تدعي إلي اللحظة .

ومرت برهة ثم خطوت للأمام وركلت بكعب قدمي بين فخذيه . ورمقته يتمور أرضا ولم يكن من داع أن أزيد فأرفسه في صدره

قبل تحولي عنه للغرفة . لم يكن غيظا لكني ترددت فقط وفعلتها لأتم ما كان . أوصدت الغرفة بالمفتاح وتمددت علي السرير . وبينما أتقلب وأنا في ذلك أصابني شد ركبتي . وقد سبق قبلا مرات تعد علي أصابع اليدين فلا أستطع أن أفردها أو أحركها أنملة كأن عظمة ما نتأت عن موصلتها الأخري ، وفي المرة القادمة حين تحدث لي سأكتفي أن أظل ساكنا لساعات إلي أن تنفك دون تألم بتحريكها ، أيا يكن . علي أني أخذت ولما يزيد عن الساعة أحاول أن أفردها وأكبت أناتي عاجز وأتقلب بتشنجي من جانب لجانب . وخطر لي أن العظمة قد نتأت فعلا وأنها لن تعالج إلا بتدخل طبي . الباب موصود بالمفتاح فلا أقدر علي نداء عاصي لينجدني ، وأني لم أكن لأفعلها إلا بعد يأس أو يوم كامل . أتصلت بعلي ، ولما صمت سألني . '' صراحة جاءني شد في ركبتي منذ ساعة ولا أقدر علي أي حركة . ''

- ها .. ؟

سألني عن عاصي . '' هو في الشقة لكنا علي خلاف ولن أناديه . ''

وأنهيت الإتصال : '' سأتصرف . موضوع عادي ، لا تقلق . ''

- اتصل بي بعد نصف ساعة لأطمئن .

أتصل عليّ بعد عشرة دقائق فلم أجبه ، وقررت أن أنام وأترك الركبة المضنية . وبعد ساعتين.. أو ساعة كانت شعرت بتنميلة بقدمي اليمني ، وإذ أني وإن حركت حتي مفصل قدمي ستشد العظمة عليّ . في الأخير نفضت جسدي في يأس فإذ بي أفردها ، هيأت نفسي لصرخة فأنبلجت ضحكة مكركعة . كان عليّ أن

أدعها منذ البدء فتنفك هي أو.. ودق علي الباب . '' لا تأزم الموقف بيننا أكثر من هذا يا عاصي ! ''

- أنا علي .

علي أي فأني أنسللت من السرير . '' ثواني يا علي . ''

كتمت تنفسي وأدرت المفتاح برقة وعدت لموضعي من السرير وأحنيت ركبتي وأمسكتها . '' ادخل . ''

أستفاقت من نومها بعد تقاعس عن الصحو ، وتثائبت . قامت من السرير لتعد كوب قهوة وهي تدخن . سمعت صوت فتح الباب وعلمت أن أخوها الأكبر جاء يصطحب معه صديقة نحو غرفته . شمت عطرها وهي في المطبخ وهيئت شعرها بيديها ومرا من ورائها . '' أختي هنا . ''

لم تلتفت وهي تصب القهوة . عادت لغرفتها وترددت أن توصد الباب ثم تركته ليصلها صوتها وهي تحادثه بغرفته ، وجلست إلي اللاب توب .. '' أنا نازل الآن وسأرجع ثانية . مريم صاحبتي بغرفتي . ''

- طيب .

- إن أردت الجلوس معها فلا تكون لوحدها هنا .

- لا أعرف .

وغادر الشقة . أغلقت المكيف لتشتم عطرها ، واسترقت خطواتها في الشقة . التفتت لتراها عند الباب . '' زينة ؟ ''

- نعم .

ولم تدري ما تضيف فتحولت عن غرفتها . ترددت وقامت ، ولم تجدها بالغرفة الأخري فخطت للصالة ورأتها بالشرفة . '' تشربي قهوة ؟ ''

- سكر زيادة لو سمحت .
مضت للمطبخ تعدها وعندما طلعت للشرفة لم ترها ، وكانت بغرفتها جالسة . ناولتها الكوب وجلست للسرير . أشعلت لنفسها سيجارة متوترة وعرضت العلبة نحوها فهزت رأسها . '' رائحتك جميلة . ''
- سأهديك في المرة القادمة زجاجة مما أستعمل .
- لا أنا عندي برفان أستخدمه .
ثم أضافت : '' برفان رجالي . ''
- رجالي ؟
- أحب رائحته لا أكثر .
- غريبة .
- شعرك جميل .
- وأنتي أيضا .. ليت لي جرأتك فأقصه .
- حلقته تماما منذ سنتين .
- لمه ؟
- كان عندي مشاكل نفسية .
- تعالي أريد أن أشم ما تضعينه .
قامت زينة وخطت إليها ثم مالت عليها والأخري جالسة فتنشقتها هي قرب رقبتها . تنفست من رائحتها . '' لا أشم . ''
- أستعملته آخر مرة بالأمس .
وعادت فجلست للسرير وتجنبت عينيها . ثم تمددت عليه وأخرجت الزجاجة من درج وناولتها . '' لا ليست فقط للرجال . تنفع للبنات . ''
ثم بعد دقيقة صمت : '' أخوكي تأخر . ''

- لو متضايقة أنك معي في الغرفة..
- بالعكس لست متضايقة .. لما تقولي ؟
- لا أعرف .. أنت وهو علي علاقة ؟
- لا لم أعمي للدرجة ! أظننتي ؟
- مجرد سؤال .
- وأنتي في علاقة ؟

هزت رأسها نفيا . أنهت مريم ما بالكوب وقامت للنافذة . '' لمه انتي مغلقة الغرفة عليكي هكذا ! ''

- لا لا تفتحي النافذة .
- لمه ؟
- أتوتر لو كانت مفتوحة .

تفتحها : '' أنا معك لا تتوتري . ''

تراها بقوامها الملد تستقبل هواء يلاهي شعرها لهنية . واستدارت . '' أرأيتي . لا داعي للتوتر . ''

ورجعت للكنبة فنهضت زينة . '' لا . لا تقفليها . ''

- غصب عني .
- مجرد نافذة .
- لا أشعر بالأمان .
- ممه تخافي ؟
- خواطر برأسه .
- أيمكن أن تقوليها ؟
- لا .
- كما يريحك .
- لا أقصد إحراجك ولكن..

- لا ترتاحي لها إلا مغلقة .
- أخاف أن أفقد سيطرتي علي نفسي وارمي بها منها .
- لمه هذا ؟
- هوس عندي .
- واجهيه .
- جربت لكن بلا نفع .
- بمه تحسي ؟
- عدم الأمان ، وأفكر أني سأفقد السيطرة علي نفسي . أتعرفي فيمه أفكر ؟
- فيمه ؟
- لا أعرف .. أتريديني أن أغلقها أم أفتحها ؟
- اتركيها مفتوحة كما هي .
عادت زينة للسرير . '' بمه كنتي تفكرين ؟ ''
- أن أشعر بالأمان .
- كيف .
- أشعر بالأمان الآن وأنا معكي .
- هذا يسعدني .
- المرأة يمكن أن تشعر بالأمان فقط مع الأخري لأنهما يفهمان بعضهما .
- لا يفهم المرأة إلا المرأة .
- والدتي ماتت منذ عشرة سنوات .
- آسفة .
- لا أقصد .. أعني أني لم أتقرب من امرأة أخري طوال حياتي .
- تريدي أن تكوني متقربة من امرأة أخري . ألا صديقات لك ؟

هزت رأسها . '' لمه ؟ ''
- لا أعرف .. رغم أن عندي رغبة في المصادقة .
- إذن فأنا صديقتك .
- أتعرفي لما ، لأشعر بالأمان وهي تحضني . أيحضنكي صاحباتك ؟
- أتريديني أن أحضنك ؟
- ... نعم .
- تعالي .
ضمتها الأخري لصدرها وعقدت هي ذراعيها حول ظهرها وأغمضت عينيها . وبعد دقيقة قطع خلوتهما العائد : '' وأخوها ، ألا يناله من الحب جانبا . ''
- للسيدات فقط .
ثم لزينة : '' سأنهي معه هذه الترجمة وأرجع لنكمل كلامنا . ''
ردت زينة باب غرفتها . وجلست علي السرير . ضمت بذراعيها ركبتيها لصدرها وأسندت رأسها لهما . كانت تقف للنافذة أمامها تراها بقوامها الملد ، واستدارت .
حاول أن يفك شد ركبتي المزعوم وأخذ يغرز أصابعه فيها وتأننت قليلا ، قال شيئا ليس ذا معني عن كونه لم يدرس ذلك بكلية الطب فضحكنا للموقف . '' سأحركها وإن أوجعتك قل . ''
في الأخير بعد دقائق زفرت بارتياح . '' ماذا أكلت ؟ ''
فرددت ألا شيء ، سألني . '' لا داعي سأتعشي مما في الثلاجة . ''
- قل فقط .
- طيب . أي شيء ، لا يهم .

- لا معنيا ؟
- نفسي للعدس .
- العدس .
- أو أي شيء آخر .
- اذهب للفرندا وسأتصرف أنا .
مشيت إليها بتأن ، وجلست وحدي . قد أُرتشف نصف أحد الكوبين . ورفعت الصينية نحو ركن الفرندا أداريها ، وبآن فعلها مر عليّ . '' ماذا حصل ؟ ''
- ولا شي ، مجرد شد في ركبتي ليس متعلقا بما كان .
- سلامتك .
- شكرا .
وأعتذر لي أنه لم يعني غاية غير معابثتي بلا جدية . '' ماشي يا عاصي لا تهتم بهذا . ''
ثم أستأذن وأخلف لنا الشقة . رفعت رأسي نحو النجوم . وبعد ساعة كان قد جلب الصينية . '' ها ؟ ''
- تمام .
- لست طباخا أنا كاتب ولكن أطبخ إلي حين !
ولاحظ أني لا أقدم علي الأكل فذكرت له أني لا أرتاح فيه بوجود أحد . '' رأيت كتابا علي الكنبة في الصالة . ''
- رواية أشتراها عاصي .
- سأنظر فيها إلي أن تنتهي .
أصبت ما كان في نفسي من الطعام ، وخرجت إليه فأخذ عني الصينية . '' روح أنت للفرندة وسآتي بالشاي . ''
- عندنا كاكاو .. أكنت في الخارج لما أتصلت عليك ؟

أجابني من المطبخ : '' لا . كنت في البيت . ''
عدت للفرندة وانتظرت وعلمت أن بيننا سيكون الحوار ففتحت مسجل الهاتف لأستمع لاحقا لأجوبتي بدلا من إسترجاعها . '' ألا زالت تؤلمك ؟ ''
- قليلا فقط .
- العضلة مرهقة لا أكثر .
- ما كنت أتوقع أن تأتي بنفسك .
- لم أكن لأنام ألم أطمئن .
- ولمه ؟
- لمه ماذا ؟
- أيهمك أمري ؟
- ألسنا أصدقاء !
- ويهمك أمر كل أصدقاءك ؟
- لا أفهمك .
- ما أقصد شيئا محددا .
- أتري في إهتمام أحد بك شيئا غريبا .
- لا أستوعبه .
- لا تستوعبه ، يعني ؟
- يثير فيّ تساؤل عمه وراءه .
- أشكاك أنت في الناس ؟
- ليس شكا ولكن نفسي لا تتقبل بعض التصرفات دون إستيعاب وافي .
- وهذا خطأ .

- أي أني في حاجة أن أستوعب تصرفاتهم تجاهي لأقبلها . وهذا في كنه نفسي لا أكثر . لا يهم .
- علي هذا لو قالت لك فتاة أحبك ستتلخبط .
- تماما .. لكن لتقولها فقط .
- ما هي مواصفاتها ؟
- نفس مواصفات فتاتك .
- وكيف علمت مواصفات فتاة أحلامي .
- قلها .
- جاوب سؤالي .
هرش بأظفار يمناه عند ركبته اليسري . '' لا شيء جسدي محدد ، فقط وعيها هو المراد . ''
- ليس هذا السؤال .
- مجرد جملة لا أعنيها ، قل أنت .
- مواصفاتها مؤجلة إلي أن ألاقي حبي فتكون مواصفاتها مواصفاتها .
- ألا يجذبك شي محدد في هيئتها ؟
- كباقي الرجال ، وأنت ؟
- لست كباقي الرجال .
- يعني ؟
- أي أني لا أهتم بالجسد . الوعي هو المراد .
- ما فعلك لو أعجبت امرأة وتريد التقرب منها ؟
- لا . لا أقدر .. أعجز عن البدء بالخطوة .
- إذن فمه الحل في ذلك !
- أعلق هذا ولا يشغلني .

- ما لونك المفضل ؟
- الناس تظلم الأسود علي عكسي أنا .
- لمه ذكرت رأي الناس في الأسود قبل أن تجيب .
- لا أدري . ماذا تقصد ؟
- لمه تبادر لذهنك رأي الناس في اللون أولا .
- مجرد جملة أعددتها سابقا للإجابة عن السؤال .. لا أفهم مرماك ؟
- لمه لا تتكلم بما في نفسك دون تدبر .
- فقط أوضح ما أقوله .
- تتقمص ذهنية المتلقي ؟
- كي يفهم كلامي كما أود .
- كما تود وليس كما تقصد ؟
- ما أوده هو ما أقصده .
- ليسا واحدا .. أيمكن أن أسألك فتجيب هكذا بما يتوارد لك ؟
- إن أردت جوابه بعد سماعه .
- لمه تماطل في أن تعطيني كتاباتك أقرأها .
- لست راضيا عن أي شيء كتبته .
- أيمنعها هذا عن القراءة .
- لا أريدك أن تكون عني إنطباعا خاطئا .
- وكيف ؟
- ستقرأ أول الجديد .
- فمه عن القديم ؟
- نص واحد منهم فقط هو ما نسخته علي الكمبيوتر ولست راضيا عنه .

- والباقي ؟
- أوراق ليست معي حاليا .
- لمه تظن أني سأكون عنك فكرة خاطئة ؟
- لم أقل فكرة قلت إنطباعا .
- ما الفرق بين الفكرة والإنطباع . ولمه قلت الإنطباع لا الفكرة ؟
- كتابتي بعيدة تماما عن جوفي .
- ولمه تبتعد . علي العكس فالكاتب يكتب ليريح نفسه .
- ليريح نفسه .. أنت لا تعرف شيئا عن قلمي .
- ومتي سأعرف ؟
- ستقرأ له أول الجديد .
- لكني لن أعرفه مع ذلك . أتنتقم مثلا ممن أذوك ؟
- أني لا أحمل ذرة حقد .
- لا أحد مطهر . من الطبيعي أن تحنق علي مؤذيك .
- أما أنا فلا . وعن تجربة أقولها .
- ولكن هذا ليس إعتدال بل خلل .
- ربما هي اللامبالة المطلقة . لكني أغفر للجميع ولا أعادي .
- أنا مثلا مرة طلبت من مدرس خصوصي أن يعيرني كتابا رأيته في بيته ، فقال لي أني لا زلت صغيرا علي فهمه . فتصيته في شخصية من روايتي وكان القتل مصيره .
- لا ميل لي لهذه الغايات في الكتابة .
- وما غايتك في الكتابة ؟
- لا تسأل كاتبا مثل هذه الأسئلة .
- اسألني فأجيب .. أن أحقق ذاتي .
- حشرنا في سك السذج بمعاملة أناس عن الرقي منحطون .

- أأنا هذا ؟
- لا ، أقصد هذا التعبير الذي أستخدمته .
- ما به ؟
- كم سنة ستعيش في الوجود ؟
- سيكفوني .
- إذن فأنت توهم نفسك بالإيدلوجية الإنسانية .
- الإيدلوجية الإنسانية ؟
- ما نفع تحقيق الذات للإنسان إلا كنفع مساج الظهر . سعي نحو السعادة النفسية فقط .
- أتري السعي نحو السعادة النفسية سيئة .
- غير سيئة ولكني أدرك أن مداها بداخي فلا أتلهف وأفاقم التصور .
- إذن فأنت تري أن الغاية يجب أن تطول الآخرين ؟
- ولا هذا ، مانفع الآخرين لي .
- فلمه تكتب ؟
- أكتب لأن بي رغبة للكتابة ، والرغبة تكفي كمبرر للفعل . أهذا جواب !
- وأي جواب .. إذن فأنت تكتب لرغبتك ؟
- لست أكتب لرغبتي في الكتابة ذاتها .
- عندك مشكلة في التوضيح .
- ربما لا أعرف لما أكتب .
- هذا هو الجواب .
- لكني مدرك لفعل الكتابة من نفسي .. علي أي فأني لا أحقد علي أحد .

- كنسمة الهواء أنت .
وأخذت أصفر لبرهة . " أتقرأ مجلات ؟ "
- أية مجلات ؟
- ألا تقرأ أي مجلة ؟
- لا ، لا أقرأ .
- ولا أنا . ومن يقرأ المجلات أصلا .
ثم سألته : " كم قرأت لفرويد ؟ "
- ولا كتاب .
- ولا كتاب .. وكيف ستحلل إلم تكن قد مررت عليه ؟!
- لا ينفع أن أعمل محللا نفسيا ، أنا معالج .
- وما الفارق ؟
- درست الطب كله وبعد الكلية تخصصت في الطب النفسي المختص بالإضطرابات والأدوية ، أما محلل النفس فمجال آخر .
- أليس الطبيب النفسي هو المحلل ؟
- هذا من درس علم النفس العام وليس الطب .
- ولمه تحللني ؟
- أنا لا أحللك أنا أحاورك .. عامة التحليل ليس قاصرا علي دارسيه . لمه ظننت أني أحللك ؟
- أنت الآن ماذا كنت تفعل ؟
- أتعرف عليك .
- فهمت .
- أأنت في حاجة للتحليل ؟
- لا . لكني كنت أحسب أن الطبيب النفسي هو المحلل . مجرد فكرة خطرت ليّ .

- الكتاب عامة يميلون أن يحللوا دواخلهم .
- الهواة منهم .
- أتدرك دواخل نفسك أنت ؟
- أنا مدرك لدواخلي أكثر مما أدرك نيوتن الجاذبية .
- كيف تري نفسك ؟
- ما هذا السؤال !
- ما له ؟
- ساذج جدا بالنسبة لتقدمنا في الحوار . لو سأله طبيب لمريض لأقفل إستفاضته .
- أنا لست طبيب وأنت لست مريض .
- قلت لي .
- إذن فكيف تري نفسك ؟
- كرؤيتك لنفسك ، والإختلافات بيننا هي ما يجمعنا في جسد واحد .
- إيه إيه ؟
- هو من قال لي .
- من ؟
- شخص أراه وحدي منذ الطفولة .
- اهدأ . ليس ذنبي أنك أعتقدت أن الطبيب النفسي هو المحلل .
- ولمه كنت تحللني ؟!
- قلت لم أكن .
- كنت أعرف أنك لا تفعل .
- فلمه تسألني إن كنت أفعل ؟

وضعت أصابع يداي علي عينيّ إرهاقا '' لا أدري . ربما لست بخير . ''
- ما بك ؟
- نعسان .
سأتركك لتنام . تصبح علي خير .
وقمنا ليغادر . '' جزر أم ماذا . ''
- إيه ؟
- وأنت من أهله .
- ألا زالت تشغلك هذه العبارة !
- خطرت لي ... هذا الحوار لم يكن كافيا لتنال مرادك مني .
تجاهل جملتي كأنها لم تصله وقررت حد علاقته بي لحظتها .
رقي المصعد بهما ممسكا اليدين . تلاقت أعينهما وقاربها فقبل شفتيها . أوصد باب غرفته وأخذا يتداعبان ، شاب وشابة رومانسيين فلا يشرباها سادة . تلثم الشفاه لرغبة الإنسجام ، تغمض عينيك أثنائه . تبدو علي غير تأكد من كيفية البدء لكنها ترشدك للطريق . وعند الإيلاج الكامل لحظتها تستشعر التشبع فكأن عسيلتها تستجف مصلا من ركبتيك وفخذيك . لا تستوعب شبقها لحظة فيثير فيك إستغرابا باديء لكنك تتجاهله ، هي امرأة وهذه وسيلتها فلتنشغل بخاصتك . ثم تتشرب الخيبة عما تخيلته . ليس هذا هو الجنس المراد . فلتقم بهذه الحركة هكذا وهكذا هكذا . أنت لست إنسانا خياليا الآن . اشرأب برأسك لا تنظر لموضع الإتصال كيلا تفتر اللواعج . ثم يختوي وعيك في حشرجة الذروة هذا ليس الكفاية لها علي الأقل قبلي ، لم ترتوي . فتكون المتعة في إستجداء الذروة الثانية بعد القذف المبكر . ويراودك التخيب

أن يفتر هذا العضو عن مطاوعتك . عندها تقبلها بتوحش وتمسد نهديها في إمتنان صادق لا تدري بواطنه . ويوجف صدرك وهلا عند الإرتعاشة . تحتضنها ، ثم تتنازع الخواطر بلذة ما سبق رغم أنه في الفعل راودتك الخيبة لكن نفسك تفيض في خيال المعاودة . فتستشعر قلقا وأنت تضمها إليك كأنك تهرب من إدراك مبهم ما .

علي طوار الكوبري يحمل أب الطائر إبنه بيديه بين أصابعه . ما يمسكه الآن صار كل ما لديه في الوجود بل نتاج وجوده . ثم يلاحظ تطلع الإبن نحو العصافير والصقور تحلق بأجنحتهم في السماء بحرية إلا أنه يستكثر علي نفسه أن يفكر حتي أن يشاركه ما يدور في ذهنه . الآن إبنه بقادر علي الترفيف بجناحيه وقد نضجا . وأراح أصابعه عن جناحيه فرنق الإبن بهما ليسري الدم فيهما . فكر أن يسعده ويقذف به في الهواء ليطير ، سينفرط صدر الإبن من الفرحة عندها في غير تصديق علي أن يعود له لاحقا . لكن أيضا تروي فيما سيكونه أثناء غيابه عنه . إن مسه مكروه فلن يكون لوجوده أنفاس بعدها . لقد عاش في كنفه حتي قوي بأجنحته تلك . وإن هلك ، أويضيع كل سابق وآين وآت في لمحة ! وبين تردده في الإقدام والإحجام يضطرب الإبن الطائر فينتفض من يدي الأب لينصرع علي الأرض وتتدلي رقبته بلا حياة . يهيع ويستنجد بالناس ، فيصدف عبور صديق له يقوده لطبيب بيطري يعالج بشكل فوري . وعند غرفة عيادته يترجاه الأب وهو علي السلالم أن يتفرغ ولو لدقائق لرؤية إبنه المنقطع الأنفاس . في ضجر يأخذ من الطائر للحجرة ، ومن عند عتبة باباها يراقب الأب الطبيب يقطع رقبة الطائر ويخبره ألا أمل حتي من معاينته . ينزل الأب درجات السلالم بعد أن كبي جماحه

. ويرميه الطبيب بالطائر من درابزين السلم فيرتطم برأسه إلا أنه يكمل إلي الشارع وحيدا . يفرد يديه المدماة أمامه ، ويفقع بهما عيناه . لكنه لا يألم في ذلك بل يعمي دون معاناة .

بعد أسبوع من فك الجبس عني عدت إلي غرفتي وكاونتر الإستقبال بعد تأجيلها لطلبي بكل يوم فيه لكن كان عليّ ألا أطاوع نفسي وأن أصر عليها حتي وافقت بشروط قبل ثلاثة أيام . وبالأمس كان أن رن هاتفي في تمام التاسعة مساء فأجبت . " شركة أورفليس للإنتاج الفني والتوزيع ، حضرتك حجز لك في تجارب أداء فيلم المخرج عزام رسمي . نرجو حضورك يوم السبت في التاسعة مساء لمقر الشركة . "

أستوضحت إن كنت أنا المعني وكيف . " أوديشن فيديو حضرتك كان من ضمن المعروضين علينا في التقديمات وقررنا ضمك للملتحقين بتجارب الأداء . "

- كنت قد صورته منذ خمسة سنوات !

- حضرتك جهز مشهدا لتقديمه لا أكثر .

فوت هذا تماما عن حاضري وعلي أي فإنه أملاني العنوان وسأعد للسفر للقاهرة بعد غد ، وقلت لمدام بلسمة عند مناولتي السندوتشات بذهابها للعمل اليوم فحاورتني عن رغبتي المنصرمة في التمثيل وشجعتني . أي أني سأفعلها كتغير أروح به عن نفسي قليلا ثم أرجع لمدام بلسمة و.. إذ أن النفس في حاجة للطعام الطيب .

أبدع ما بغرف اللوكندات طاولة كتلك يكتب عليها النزيل ونافذة كما علي يميني . القاهرة القاهرة آه يا قاهرة . كنت موفقا بتأديتي الأولي للمشهد ثم طلبوا أن أفعله بأداء ثاني فارتبكت ، لو

أعلموني بذلك قبلها لعملت علي تحديد أدائين . علي أي فقد أنتهيته ولم أبالي إذ أنهم يتجاوزون المتوترين كما الفراخ . ثم حاوروني عن ذاك وذاك وطلبوا مني ألا أرجع للغردقة إذ أنه للإحتمال أن يهاتفوني للحضور غدا ثانية . كنت سأهمله وأرجع للبرج فهذا يخالف خططي ولا أدري ما سيكون مع العامل الآخر أن يوقع لي دون علم حمدي لكن القاهرة أمسكت بي من ملابسي وهي تضحك فقررت أن أنزل بلوكندة لألا أرد ما بنفسها تجاهي . كالمت مدام بلسمة في الهاتف لدقيقتين وضحكت أربع مرات في أذني اليسري .

بعد خمسة أيام من التجربة الثانية ، وربما ستة أيام كانت . هاتفوني لأحضر . ثمانية مشاهد سبعة بلا حوار لي والأخيرة بضعة جمل ، ووقعت عقدا ما رغم أني ممثل ثانوي في الفيلم . وكما طالبوا فسأقيم هنا في اللوكندة التي نزلت بها الأسبوع الماضي . وقلت لمدام بلسمة وزينة أنهم خمسة مشاهد فقط فتحمست الأولي وأفألتني : " بداية جيدة لك . "

ولا أدري . بواعث التمثيل نتأت من ضوها وعيناي علي دوري هذا في الورق . قاتل مأجور يغتال بسكين شيخا مهيبا في البادية لخلافات بين العوائل ، وأبنه الصبي يراني أي تتلاقي عيناه بي . ثم بعد عشرة أعوام ينادي عليّ ويرتكن بي ركنا يذكرني وتتلاقي عيناي به ثم يغدرني بنفس السكين ثأرا . أي أني قاتل مأجور بسكين ويد مرتبكة .

أن تكون ممثلا أن تؤدي الشخصية فتقنع المتابع أنك . والبعض لا يستوعب كيف تفعلها فتصل لدرجة الإقناع التام ، يحسبوها أنت لكون الإنفعال المؤدي لا ينبع إلا من الصدق ؛ فهم يعمهوا عن

آلياتك في هذا . كنت متأثرا بهذا الأسلوب في الماضي ذا فكرة أن تعمق في نفسك المعايشة ، فاعتمدت عليه . وهي لعبة ذكاء وأنا مقامر من النخاع . أي أني كنت قاتلا مأجورا بيد مرتبكة وسكين يطعن أبا عجوزا ويثأر أبنه مني في الأخير بنفس السكين . فإذا توتر فلتكن هي وإذا غص ريقك فلتبتلعه الشخصية . ولا تهتم فكل سعي إلي هناك ينقضي . أقتادوني إلي واحة صحراوية كانوا كأنهم قد احتلوها . المشهد الأول لي أفتح الباب للقادم وهو من المبجلين وأنا متدهور الهيئة ، ثم الثاني يمد لي مالا وصورة لمن قتلته بعدها ، والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع أتتبعه في غداته وعشيته لأدرس تحركاته وأثنائها ، والثامن أقترب منه لأسأله عن شيء ما وإبنه معه ثم أطعنه وأهرب ، والتاسع بعدها في الأخير حيث وبمرور عشرة أعوام يناديني هذا وأنا مع رفقة ويرتكن بي ثم يفعلها بتأثر . ولأنهم تفرغوا للإنتهاء من هذا الجزء فقد كنت كأني الممثل الرئيسي . كانت مشاهد المراقبة تصورني من زاوية بعيدة فكان عليّ فقط أن أظهر فوق هذا التل الصحراوي أو بين الخارجين من المسجد أو متسلقا سطح الدور . وأطلعني هذا أن المخرج ولأدائي يفكر في أن يضيف لي مشهدين أو ثلاثة ولم أقتنع . لكنه أضاف بعدها فعلا مشهدا آخر حيث آكل فيه سندوتشا وأنا أقتعد جانبا مقتطعا ترصدي له إذ أن القاتل المأجور في الأخير إنسانا وفي حاجة للغذاء . وقد أتممتهم أولا السبعة خلال يومين وعدت للقاهرة وبعد ستة أيام أستدعوني وانتظرت يوما ثم أديت الأخير ومعه المشهد المضاف . وكانت هذه الفتاة حمراء الشعر تعبث بوجهي مكياجا وتلهو بإرتباكي بعينيها وتظل ترقبني أتجنبهما تستحلي . واستحسست مرة أنها

ستهم بتقبيلي قسرا وقرص خداي وهي تتناغي . ونمت علي سطح بيت من دور واحد مع رفقة . وضموني لثرثراتهم مرات . وسألني هذا عن مشاهداتي وفي الحديث ذكرت أني لم أدخل السينما من قبل فتسمهوا من كوني ممثلا ولم أفعلها فاضطررت أن أضيف أن الأفلام يجب ألا تكون لشاشة العرض بقدر أن تكون للذاكرة واستدللت فأخذوا في ذاك وذاك . '' بعد أن تمتهن مهنتنا وتعايشها ستفهم أن السينما للعرض أولا . ''

وفاضل هذا الآخر ما بين دي نيرو وآل باتشينو وسألني . '' براندو هو الأفضل . ''

- من بين الإثنين ؟

- آل .

وعلق بشيء فيما معناه أني لا أفهم في تجسيد الشخصية . فكنت أرتكن جانبا حين تؤلمني معدتي وأتمدد علي ظهري نحو النجوم . وحنيت بأوقات إلي البرج ومدام بلسمة وطعامها . وكنت أعلم أن هذا الأملق سينفعل ويضرب بعنف بطني بالسكين الزائف لكني خليت نفسي دون تأدد فأكدم هوائها ، وكتمت أنفاسي لأفتعل الموت . والغريب أني أقتنعت لحظتها بل كانت دمائي تسيل فعلا وقد غدرت وجحظت عيناي وكانت نهايتي لولا أن أنهوا اللقطة لأخري . وقال لي هذا المساعد أنه لم يكن داع لأضيف هذا الأداء وأطيل ثم بعدها أقر أني أحسست للمشهد بما فعلته . وعدت وخلفت كله ورائي بحيرة منه ولا أدري علي أي حال كيف لهذه اللخبطة أن تكون لها إيقاع عند العرض ؛ أنك لتحسبهم مجموعة هواة يتعجلون بمحددات كل واحد منهم هنا وهناك بحماس للإنتهاء . وقضيت ليلة في القاهرة وأكلت في إحدي هذه المطاعم

في غير ما راحة . وفاضلت بين ميلي للعودة إليها والقاهرة الفتاة فوجدت طرفي للثانية قد فتر . وسافرت عند الفجر وعدت لما كنت كأني لم أجد بهذه التجربة .

قطع ج وزينة الطريق نحو دار العرض ليشاهدا الفيلم ، ودفع ثمن التذكرتين ولم يفهم مرمي عامل الشباك بتكريره جملة أنه يجلس هكذا منذ الصباح . وأفهمته زينة بعدها أنه كان يطلب إكرامية منه . '' لو فهمت ما يريده لناولته . ''

وخطر له أنه مفتقد للبديهة فهز رأسه ينفض عنه ونفخ . وجلسوا في المنتصف لرغبة زينة ، ولم يرتح ج لما هو فيه - وقد أخبرها أنه يحتمل أن يحذفوا من مشاهده فهم خمسة صامتة عدا الأخير منهم . وبدأ الفيلم وقطب ج حاجبيه يستشعر إرعاصا لا يدريه . موسيقي تصويرية ، ولمح الباب فانتفض في مجلسه . فتح للحاج راسل ورأي نفسه وجها لوجه للحظة فارتجف . أخذ منه المال .

'' ما بك ؟! ''

لاحق الشيخ العجوز في يومه . يأكل سندويتشا منكمشا جانب الطريق ، رمع الغول في صدره . يلحقهما في إرتباك ، صدر عن ج هنة كالصرخة وتخبط ليغادر الصالة . وفي الخارج تبعته زينة يتأود ممسكا رأسه . '' ماذا حصل لهذا كله ! ''

- لم أستطع رؤية نفسي علي الشاشة . أرأيتي !

- تحرقت ترقبا للإستكمال .

- قتلت الرجل وهربت ، وفي النهاية أقتل . أرأيتي كيف أقتربت مني الكاميرا وأنا ألحقهما . لقد دمرني هذا الغبي .

- لا تقلق . أول دور ، وستنوع .

- لقد دمرني ، حفظوا ملامحي . إن رؤني ثانية فسيشيرون إليّ كشرير ، الغبي !
- قد يكون إضطرابك عاديا لأول مرة . ماذا تريد الآن ؟
- لن أمثل ثانية . سأبطر علاقتي به . لن أتحمل رؤية نفسي مرة أخري .
- ما هو إلا دور .
- جيد أنك لم تريني أقتل في النهاية . سأنهي صلتي بكل هذا .
- قد تكون متأثرا لا أكثر .
- هيا أرجعكي .

وأتجها إلي بيتها في صمت . وعرضت عليه الصعود : '' قد لا يكون أخي في الشقة . ''

- وإن رآني ؟
- ستبقي معي في غرفتي ثم تنزل بعدها . ويمكن أن تتعارفا كصديق .

وصعدا معا .

إنتقلت للسكن مع عمار . وقبل مغادرتي تركت مقدار دفعي من الإيجار لشهر علي طاولة الفرندا مع ورقة ملاحظة برغم أنني قد سددت نصف الشهر المقدم . وهيء لي غرفة وكل ما يلزم حتي أنه أعد مكتبة صغيرة بركنها وقد كان يسألني عن قراءاتي ليحدد ما لم من كتبه ، وقلم حبر أسود وأوراق . وتحمس لوضع قصتنا المزعومة . '' مثلما قلت لك ، سننام بالنهار.. ''

- فهمت .

- انتظر . سننام بالنهار وسأنزل وأجلب صينية الغداء والعشاء من عند عمتي ونأكل معا . وفي الليل نجلس ونضع القصة . ويمكن أن نخرج من حين لحين .
- ولكن تذكر ألا تتسرعها .
- من ؟
- وضع القصة يا عمار .
- ولمه سنؤجلها لبداية الشهر الآتي .
- ولمه التعجل .
- أهم شيء أن ترتاح هنا .
- سأحاول .
وسألني : '' كم رواية كتبت ؟ ''
- أربعة . لكني لست راضيا عنهم ، عدا واحدة لم أحسم أمري .
- هاتها لأقرأها وأعطيك قصصا من مجموعة أكتبها حاليا .
- أنتهيت منها قبل سنتين .
- ممه ؟
- الرواية يا عمار .
- أريد قراءتها .
- لا أعرف ، سأفكر .
ووهدت الفراش . وعندما دعاني للأكل معه بالصالة طلبت أن يحضر نصيبي منه للغرفة لأني منشغل بقراءة الكتاب هذا بين يدي فطاوعني وأنفردت بطعامي ، وكان منه بصلا أخضر فأحسست أني منعم هنا . عرض عليّ أن أحيي عمته بالأسفل ثم نصعد مجددا ونزل ورجع للغرفة لمجالستي فأعلمته أني لا أقرأ في وجود أحد والليالي أمامنا . وطلب أن أعرض عليه أسم فيلم

من مختاراتي ليشاهده علي الكمبيوتر فاخترت المرآة لتاركوفسكي في خبث لأعاين ذوقيته بعدها . '' عندما تريد تعالي لتجلس معي . ''

- إن أنهيت الكتاب أولا .

وهو من ستمئة صفحة .

في هذه الشقة وفر من السكينة يفاعلني كأنه معمول نفس جديد . وعلي أي فأني أستكنت إليها وتنعمت بالغذاء وسأبقي هنا أياما علي الأقل . فقط يلزمني أن أجاري عمار في حماسته تجاه عملنا المزعوم كتابته كأني أهتم . وألح عليّ فبادلته نصي المنصرم ليقرأه ولأحتك برد فعله ، وربما أستشعر ندما علي هذا الآن . لا أدري . وعمته تعد لنا باليوم وجبتين عامرتين ، وأشرت له أني لا أود أن أجشم عليها فأستسخف الحديث . تفتح باب الشقة وتطل بالغرفة وتنبه : '' أعلام الغد في القصة ماذا يفعلن . ''

أدغصتني هذه العبارة حينها أول مرة لكني أتذكر عطائها فأجاوزها بل أبتسم بصدق . لا أدري إن كانت تسخر أم تحفز أو بين الإثنين فهي تداعب . لديها نظرة ثاقبة كمصارع ثيران أو بيكاسو . توارثت عينيها ولا شك . ليت والدتي كانت عيناها عينيها ، ربما لكنت طفلا ودودا في محضرها . مشغولة هي بإبنة وإبن فلتهنيء في حياتها بحياتهما . أربعة أيام أكالم عمار وأصغي لاسترسالاته وآكل كمنعم وأنقب في هذه الكتب فلا أستمد منها ما يشبعني . وذكر لي بالأمس : '' ستكون يوما ما شخصا من شخوص رواية لي . ''

فأرقني ذلك أيما أرقا . وفي الربع الأخير من الليل بعد نومه تهم نفسي فأنتقل بأركان الشقة . ولا أدري ، فقط لا أدري . كنت في

الشرفة قبل ساعتين وحنيت للإلهام الأول إيهام المراهقة ولهفة الأحلام ، والعينان الكراوزيتي اللون وكله . وطالعت العمارات المواجهة فكأنها أشباحا جامدة نصبت لتعمل الوحشة في صدري . وأرق هنا وهناك كأني أتجاهل عنصرا غير معلوم . لكنه في صدري مكنون . قبل أسبوعين كنت هناك وآيني هنا وغدا إن كنت فسأكون بمكان ما . وعدلتْ علي كلامه قبل الثلاثة أسابيع أنه لا يوجد مكان يفتقر إلي سمات خاصة أيا يكن فأرسخها في دهليز ثوابته . وأنظم أنفاسي كأني أوجس أن تتوقف وأنا لا أدري ، حتي أني نسيت بأي شهر يشرع الشتاء . وأنا لا أدري ما لا أدريه . فقط لا أدري .

ولما جالسته أخبرني بانتهائه من قراءة نصي ، وكان أن : " لم أكن أعرف أن عقليتك هكذا . "

- لا تربط بيني وكتابتي .

- ليس ربطا ولكن.. أن تتناول هذا التطرف وأنت في بدء تجربتك غريب .

- مجرد إهتمام لهذا الجانب كان عندي لفترة . أنت لم تفهم غاية إحتوائه في النص .

- وما الغاية غير عرض لشكل من الشذوذ النفسي .

- لا تهتم .

- إلا إن كان بك من هذا الشذوذ ؟

- يعني أضعت وقتا في قراءتها .

- هي جيدة وليست جيدة في نفسها .

- لا تقل لي رأيك قلت لك .

- لا أقول .. لا أعرف حتي كيف أراها . لكن بها أشياء أردت تعديلها .
- إن كنت أنت من كتبتها أترضي عنها أم تهملها ؟
- لا طبعا لن أهلملها . فقط لو تسمح لي بإعادة كتابتها .
- كيف . أتريد أن تكون أنت من كتبتها ؟
- نعم ، لو فقط..
- قدمها لقريبك في الدار التي نشرت روايتك .
- لن توافق لجنة القراءة عليها للنشر بالنسبة لمبتديء ، أنا متأكد .
- وإنت كنت أنت مثلا من كتبتها ؟
- لا ، أنا غير . لن يراجعوا عليّ مثلك لأنهم يعرفوني . لكن أيضا يحتمل ألا يقبلوها .
- حاول .
- أحاول علامه ؟
- ضع عليها إسمك وحاول نشرها .
- ولمه ؟
- بدلا من إهمالها .
- لا .
- أنا أريده .
- سأعدل عليه أولا ؟
- طيب .. ولكن في القادم شرطا أن تضع عليها إسمك فقط .
- في القادم ؟
- إن كنت لا تمانع .
- أمانع .. خير لي ، ولكن لمه ؟

- فكرة في رأسي .
- بهذا يضاف لي لا لك .
- أستفعلها أم لا ؟
- لا أعرف .. لكني سأعيد كتابتها وتراها..
- لا أريد أن أري ، فقط أسرع فيما تقول وقدمه .
- سأغير فيه كما أريد ؟
- في هذا النص لك أن تفعل ، وفي القادم إن تم الأمر سنري .
- لا أفهم لمه ..
- لي ثلاثة أرباع ولك الباقي .
- باقي ماذا ؟
- هذه الرواية يا عمار إن نشرت بنحل إسمك .
- لا ، النصف .. سأضع إسمي .
ولما نفخت سأما : " طيب طيب ... وعمتي ! "
- ما لها ؟
- لما تقرأها ستولول .
- خذ الموضوع بجدية .
- أنا جاد ، وأفكر في فعلها صدقني .. كيف أضمن ألا نختلف .
- لا تقلق . لا أهتم . ليكن ما يكن .
- تمضي لي علي تعهد .
- تبهرني يا عمار .. بيننا كلمة . وسنكررها مرات .
- بهذا أزيد من محصلتي .
- لي ثلاثة أرباع ولا تعديل من قبلك في القادم .
أردفته ينكب علي عمله فيها وعدت للغرفة . رصن لي غاية ، وهكذا أتحرر ككاتب . وإن تم النشر كما أخطط فسيكون في

جيبي مالا . لسنوات آتية إلي أن أعايش ما سيكون ، نعم . إن تم فقط فسأحل عني به السنوات ، وأتحرر وليل السماء يهن علي ما فات . لكنه لن يكون في صدري بل أعلاي . وسأشتري مكنة حلاقة آلية أحص بها شعر عانتي بيسر ، وكتبا تبهجني ، وحذائين لي ، وقميصين علي قياسي ، وطعام طيب . لا أدري . أنا فقط في هذه الحياة.. أي أني أتنفس الآن ، والأحلام تتناثر هنا وهناك . وأنا متسكع القاهرة . أبغي إختراقها وبها للأفق . وكم من تنهيدات غائرات في الصدر لكل ليلة من ليالي تنهيدة وهدأة ترومها . وإن ربت أحدا علي كتفي فسأسأله صادقا أوعايشت ما نفسي . متأكد أنا مما بصدري . هكذا أتحرر. تنفس برويدة ودع الزمان يرمي بك هنا وهناك كما الأحلام ، كسمكة في المحيط . وهم أي الأسماك لا تدرك الألم . سأحمل أوراقي وأنزل أتمشي بعد نومه ، عسي أن .

رفع ج عينيه عن تأمل راحتيّ يديه أمامه علي المكتب نحو المدخل . '' جئتي في وقتك كأنك أحسستيني . ''

- لدي كلام .

- أصغي .

- بالسطح نأخذ راحتنا .

ورقيا بالمصعد . وفي السطح تعانقا . '' أريد أن أخبرك بشيء . ''

- شيء عن ماذا ؟

- عنا ، أنا وأنت .

- عن علاقتنا تعني ؟

- متصل بعلاقتنا .. شيء فيَّ توالد مني ومنك .

- في صدرك ؟
- وفي بطني .
فتح عينيه لحظتها . حل ذراعيه وخطي نحو السور وسحب بفمه نفسا من الهواء . '' كنت أتحرص بالواقي . عدا أول مرة ، أليس كذلك ؟ ''
- ما كان .
- كيف سنجهضه ؟
- هذا ما كنت علي إنتظار سماعه .
- إن كنتي لا تدري الوسيلة فسنتصرف معا . لا تقلقي .
- علي إنتظار سماعه منك لأجابهك بما أعددته ردا .
دار إليها . '' لا تفعلي يا زينة . ''
- فقل .
- ليس عن الزواج بل عن ذلك !
وأشار بعد ثانيتين بسبابته لبطنها في إتهام . وضعت يديها عليها . '' هو أنا . ''
- ومني يتصل .
- أنا النبتة .
- لنتفاهم .
ودنا منها وتناول رأسها يقبلها . '' سنتفق ، أليس كذلك ؟ ''
أومئت . '' افهمني . ''
- سأفعل .
وارتعشت ركبتيه وجلس عند قدميها . '' لنقعد دون كلام لبرهة . ''
- لا تبرد الحمية .

- اقعدي لا أستطيع الوقوف .
- وأنا لا أرتاح للقعود .
- أتفهميني ، لن أقدر علي هذا . لن أتقبله .
- استجمع كلامك . لن أذهب دون الإصغاء لاستفاضتك كلها .
- اقعدي يا زينة .
- لا استطيع صدقني .
- لازم إجهاضه . إلم تعرفي كيف فلنحاول معا . لكن لن يكون في وجودي . لن أقدر علي التعايش مع ذلك ، أتفهميني . لا أقدر علي التعايش مع ذلك . أنا أضعف من أن أواجه هذا . لن أقدر علي التعايش مع هذه الفكرة .

نهض ج وخطي نحو السور وأغمض عينيه . " لن أقدر علي التعايش مع ذلك ، أتفهميني . لا أقدر علي التعايش مع ذلك . أنا أضعف من أن أواجه هذا . لن أقدر علي التعايش مع هذه الفكرة . فقط قولي أنك تفهمي عليّ . ثم سنرتاح .

- وأنا لن أقدر علي التعايش مع فكرة أني أجهضت ما كان فيّ ، سأستشعر خواءه .

كز علي أسنانه : " لا لا تفعلي هذا الآن ! "

- أي فعل ؟!
- لا تحولي كل هذا لينصب عليك وحدك.
- لا أستوعب .
- لا داع لأن أفهمك نفسك .
- وضح . أريد سماع ما ستقول .
- ألاحظ أنك لم تعودي تتوتري .
- معك لا ، لكن مع الغرباء . أتعني أني أدعي ؟

- ليس هذا ، بل فكرة أن تعلمي الجميع بخللكِ تأت علي هواكي . كأنك تري فيها التميز . أنت نرجسية يا زينة ، وأنا آسف .
- أنا أعاني ، وأنت تعرفني . وهذا ليس صحيحا . وكفي .
- تحقدي علي الوجود لأنك تعاني في نفسك .
- أنا وجودي ، ولنرجع لموضوعنا لا تغرب .
- ومن حقي أن أحمي وجودي أيضا .
- أستؤذيني ؟
- لا أقدر علي إيذاء أي إنسان ، غيري . أرجوكي أفهميني .
- لمه المعاناة . فقط استسلم لما يكون ، وأعدك لن أجعلك شقيا .

حول ج جسده نحو السور وتغني بهذه الجملة كمُعلم يلقنها لتلاميذه : '' you talking about some people in the simple streets .. you talking about some people in the simple streets ''

- توقف ، أنت ترعبني !
- هو ما تريديه ، أن أنهار .
- لا !
- تقوديني إليه .
- لا . أنا زينة ألا تدريني ؟!

كف ج عما يبقه ودار إليها . '' ستجهضيه وسنتئم معا في الحياة . ''

- يمكن أن يكون روحا الآن .
- ما دام بلا ذاكرة فهو خواء ، لا تقلقي .
- ولكني أريده !

- ستحدي وجوده إن كان . وجودي أو وجوده . لن أقدر أن أتعايش مع فكرة أن لي في الوجود.. لا . وجودي أو وجوده ، تعرفي عما أتحدث .
- أنت أناني !
- بل ضعيف ببساطة . أنا ضعيف لأني أعرف نفس الإنسان .
- فقط كن إنسانا من نقطة الصفر .
- أعجز . وقلنا أننا سنتكلم دون أرق .
- عقلي قد تأرق !
- فلنعد للصفاء .. أنا أريد أن تجهضيه وأنتي مستوعبة لمه ، وأنتي الآن لا..
- لا أستوعبه .

نفخ ج في خيبة . '' لن يخذلني أخي ، ولست أول من تفعلها في مصر . وربما سأسافر . ''

- كنت لأسجد لك لو لم يكن هذا مني يتصل . لكنك به تجعلني شقيا .
- ليتني هجرتك دون أن أخبرك .
- وكان ما كان .
- انظر إليّ . أنا هواء . لم ترني اليوم ، أنت تتوهم . بل أنت هنا لتستمني وحدك .

وسارعت بالأنضواء عن السطح . لعق ج بلسانه شفتيه لحظة ، واستدار للسور . كيف يوهم عقله كما أمرته ، أخرجه وتداعب بخمول إلي أن قذف . ومضي نحو الباب . هذه حركاتها . سأبقي هنا حتي اليوم التالي لا بل إلي يومين عندما يجد العامل الآخر أني لا أوقع حضورا وانصرافا فيصعد إليّ وينجدني . لكن في

الصباح لن يلاحظ كأني أستعجلت النوم ، ثم يغادر عند إنصرافه كأني أتكاسل عن النزول . يومين هنا . وربما بيسان فعلتها ، وربما آخر لا أعلمه يعابثني . أوصد ج الطرباس جهة الداخل كيلا ينفتح الباب إن هو فتحه من الخارج فلا هو من الداخل قادرا علي الخروج ولا الخارج قادرا علي أن يفتحه لأذيته أو إستخراجه . قارب السور ثم جلي ببصره إلي موضع البحر في نفسه . تسلق ووقف بقدمين ثابتتين عليه . نظرة واحدة للأسفل ستكون فاجعة . وشعر أن يدا بأصابعها علي قلبه وتوتر أن تقبض عليه هذه اليد . أفعلها ، فقط مل للأمام ولن تكون بحاجة للتفكير . أغمض عينيه . استسلم لنزعتك فالنفس تمل للراحة . فلتختوي يا ذهن عن كل المحيطات . اقنع نفسك أنك ستجرب وبعد أن تميل لن تكون في حاجة للندم . مل بجسدك إلي الأمام . بعد يوم بعد عام ستتملي تلك اللحظة التي كدت فيها إلم تفعلها ، حينها ستتوهم أن هذه التجربة غيرتك . ستكون لا مباليا ، نعم . كمحتضر ، فأنت . لكنك ستسترجعها وفي نفسك نازع لو أنك قد ملت . ستفعلها زينة . وصلتك بجوفها إلي الوجود سيكون . مل بجسدك للأمام . ما هو إلا ميل ولن تضطر لشيء بعدها . وفي اللحظة وجد أن جسده مال للأمام دون قياده . صك الهواء أذنيه فخوي تفكيره ، وشد علي أجفانه . استسلم لما سيلاقيه . ولم يستشعر ألما إذ أن جفأ جسده بالأرض أقضاه فورا . وحتي لو كان سيتألم لثانية بعدها فإنها لم تكن لتعني لأنه كان ليقضي بعدها دون تأني .

هب ك من نومه علي صوت طرق وأرتعب للحظات حتي وعي أنه طرق علي باب السطح فغادر الغرفة وكانت الظهيرة ، وسأل : '' من ؟ ''

- أنا .

فجاء الباب : '' لمه تخبط علي الباب بهذا الشكل ! ''

- ما خبطت ، الا لتسمع .

وقرع علي الباب يريه . '' أنت فقت مخضوض من نومك . ''

- ماذا تريد ؟

- انزل عند حمدي يريدك الآن .

وأوصد الباب ورجع لغرفته . أرتدي الجاكت الجينز وهبط إلي مكتب حمدي . '' ستذهب بعد العشاء مع الأستاذ هاني ساكن الدور الرابع عشر لتشتري علب دهان وتساعده . أتصل بي وطلبك . ''

- وما يلزمني أنا بهذا !

- سيعود علي جيبك بالنفع .

- وأترك مكاني ، لن يضر ؟

- تحت خدمة السكان وظيفتك .

- حوالي الثلاثة أسابيع لم أبدل ملابسي ، لم توافق علي يوم واحد أترك فيه المدخل .

- اطلع واكمل نومك . ولا تنظر لي هكذا .

- أتعرف أنهم يصفوك بالخبيث .

- من هم .. أتريد أن تضربني . قلت لا تنظر... اطلع ونم فأنت لم تفق بعد .

وغادره ك ورقي بالمصعد . ولم يتمدد علي السرير . لما أمرني أن أعاود النوم . ماذا يدري هو عن نومي ليستحسن ذهابي فيه . فلا أنا بقادر عليه الآن . وربما لن أنام منذ اللحظة بسببه . وخرج للسطح فضايقت الشمس عينيه وتمدد جوار السور . وكبا في سبات متقطع حتي قبل الغروب قام لغرفته إلي السرير يحاول المعاودة ، إلا أنه لم يغفو . وهبط بالمصعد في تمام الثامنة دون الآلة والساعة يرتدي الجاكت الجينز وتسلم المكان ، وانتظره . وطن المصعد وخرجت منه رغدة برفقة صديقة وقد أطلقت شعرها عن الإمساك فكان كثيفا لامعا يمكن أن تتواري فيه عن ضوء النهار وقد تبهرجت في فستان سهرة لحضور عرس أو إحتفال أو ما يكن ومضت دون أن ترسل له طرفها كما أعتادت وحزه ذلك وكان في الصميم . كنت في مسيس الحاجة للفتة منك تجاهي يا ذات الخطوات القصيرة الزامعة . وأخبره هاني أنه أستئذن من حمدي ليترافق معه . '' فرصة لتشم أنفاسك . ''

- شكرا .

- لمه تلبس هذا الجاكت علي طول ؟

- يعجبني لا أكثر .

- سنشتري علبتي دهان أولا ونضعها في السيارة ثم نتجه لبيت صديقتي ومع أصحابي نقضي ساعتين أو ثلاثة . ونرجع لندهن غرفة بيسان .

- بأي لون ؟

- بلون السماء كما قالت لي .

- في النهار أم في الليل ؟

نظر له لحظة وهو يقود . فعدل : '' سؤال غريب ، أليس كذلك ''

- عادي .. أحيانا تفلت منا من غير تفكير .
وركنت السيارة في الشارع المستكين ، وصعد إلي الدور الثالث ورن هاني الجرس ففتحت له ودخلا . جلسا وسط المجموعة المتفرقة وقدمهم له . وأطرق برأسه عن مباعثاتهم . ورُن الجرس وحضرت فتاة . '' أستاذة ماهينور وصلت ! ''
ماهينور : '' بل ستك ماهينور . ''
جلست وأختلس ك إليها فتلاقت أعينهم . ماهينور : '' والأخ عضو جديد في شلة الفاسقين ؟ ''
قدمها هاني إليه وأومىء وحول عينيه عنها . ماهينور : '' اليوم رحت مكتب السيد الوالد وجعلت السكرتيرة تلحس حذائي . ''
- ألا تزال تغيظك ؟
ماهينور : '' الوسخة تلبس له القصير لتغريه علي كبر . فمسحت بكرامتها الأرض من غيظي . ''
وضع ك منديله علي فمه . '' كفي عن أذية الخلق . ''
ماهينور : '' أنا أطيب من ريش النعام لكنهم يخرجوا أسوأ ما فيَّ يا بنتي . ''
- ماهينور من الداخل سواد لو أطلقته لأظلمت عنا نور الشمس .
ماهينور : '' لم أقابل أبضن منك . ''
- لأنك لم تقابلي نفسك .
ماهينور : '' سأخلع حذائي مبكرا هذه الليلة .. وما رأي العضو الجديد ؟ ''
ك : '' فيمه ؟ ''
ماهينور : '' أتراني كما يقول العرص ؟ ''
ولم يجيبها ك . ماهينور : '' لا داعي لأن تحرجني بسكوتك . ''

هاني : '' اتركيه يا ماهينور ، لم يعتد علي لغتك . ''
ماهينور : '' أنا طيبة والله يا ناس ، لكن الخلق تشوه صورتي . ''
أخرج ك كيس التبغ ليلف سيجارة . '' أنقل لك هاني عدوي الملفوفة ! ''
هاني : '' ألم تبطل ؟ ''
ك : '' ألفها وأضعها بين شفتيّ لا أكثر . ''
هاني : '' ولا تدخنها ؟ ''
ك : '' أبدا والله ، منذ يومها . لما دخنت معك السيجارة وبعدها ثلاثة أو أربعة وتوقفت . ''
- ولمه توقفت ؟
ربت هاني علي منكبه : '' يخاف علي صحته . رغم أنه كاتب. ''
- كاتب ، ماذا كتبت ؟
ك : '' لم أكتب شيء .. أتسلي فقط . ''
ماهينور : '' أتمني أن يتزوجني كاتب ويتغزل فيّ . ''
- سيسموه شيخ منصر الكتاب .
ماهينور : '' اخرس يا كلب . ''
وبعد فترة : '' لنخفف النور ونشغل الموسيقي . ''
- لا لا تعكر علينا .
- لأن لا واحدة ستختارك كما أول الأمس !
- بل أنا من لا يريد .
ماهينور : '' السيد ذنغر بذكورته يتذنغر . ''
- أتشكي في ذكوريتي يا ماهي .
ماهينور : '' مكتمل الذكورة أنت . أأكلت التونة ، أعصرت الليمونة . ''

- من أول من ستشرفيه بالرقص معك الليلة ؟
ماهينور : " لا أحد منكم يملء عيني . "
- وكأنك حورية !
ماهينور : " يعيب عليّ قبحي . هكذا خلقني الله ، ولا ذنب لي" وبدأت كل واحدة تختار من يراقصها . ووجد أنها تنظر له . " سأجربه . "
- لا شكرا .
- حتي أنت تراني قبيحة . أشهدوا يا شلة الفسق !
- أبدا . ولكن لا.. لا أعرف .
وجذبته من كتفه ودفعه هاني في ظهره . وضعت يديها علي منكبيه وأسترشد بهم فوضع يديه علي خصرها . " ها يا معلم ؟ "
- نعم ؟
- أتراني قبيحة كما يقولون ؟
- لا توجد امرأة قبيحة .
- لا ، قلها صراحة وأنت تنظر في عيني .
- إسمك ماهينور ؟
- لا تسخر من إسمي .
- بالعكس . إسم جميل .
وهتفت : " يقول لي إسمك جميل ! "
- خذيه علي البركة .
- شلة بضان والله العظيم .. ألاحظ أنك تتضايق لما أشتم ؟
- لا أبدا .
- رغم أن رجال كثيرون قالوا لي يا مهينور أحلي ما فيك لسانك ، فهو كوجهك .. الرجال تعجبهم من تشتم .

- لا علاقة لي بهذا .
- لكنك تضايق .
- لست وصيا عليك .
- يا معلم .
- نعم يا ماهينور .
هتفت : " قال لي ماهينور بلسانه يا جدعان ! "
- به أمل ، استمري .
- يعني أنت لا تعجبك المرأة التي تشتم ؟
- ليس هذا ولكني لا أحب الشتائم عموما .
- الحياة بضان صراحة .
- علي رأيك .
- ولمه لا تحب الشتائم عموما ؟
- لما أسمع تعبيراتها أتخيلها في رأسي من فوري .
- يعني لو قلت امرأة تتنيك بعنف . الآن تتخيل ذلك ؟
- ليس حرفيا . هذا يضايقني لعلمك .
- متأسفة ..
وهتفت فجأة : " أحا يا جدع ! "
ثم إليه : " الأحا لا تتخيل . "
وأخذت في ضحك وأكتفي هو بإبتسامة مجاراة . " بعض الألفاظ تضايقك أم جميعها ؟ "
- افعلي ما تريديه ، لا تلتفتي لما قلته .
- انتظر سأضحكهم معنا ..
قبض علي معصمها : " كلا . "
- يدي !

- آسف ، ما قصدت .
- ماشي يا معلم .
- .. خذي راحتك في الكلام ، أنا فقط.. أنتي حرة . أعني أني.. قولي ما تريديه .
- حاضر يا معلم .
- آسف لأني شددت علي يدك ، ما قصدت .
- يا معلم ولا يهمك .
وأسندت رأسها لصدره . '' أنت رومانسي جدا يا معلم . ''
ولدقائق أحس ك بهويدة أنعسته . وأشارت بقرب مؤخرة صاحبتها وغمزت له : '' مثالية . أليست كذلك ! ''
لم يحر ك إلا أن أبتسم ولم يدقق لإشارتها . '' انتظر .. ''
ولامست بأصابعها أليتها لتري ردة فعلها . فدارت الفتاة وتلاقت مع عيني ك لحظة ، وأهجفت وجهه براحة يدها . صاتت الصفعة في المكان فسمه الجمع . '' ما هذا ! ''
أوقفوا الموسيقي . '' يا بنتي أنا من فعلتها . ''
تقدم هاني : '' ماذا حصل ؟ ''
- الحيوانة ماهينور جعلتني أظن أنه تحرش بي !
- هو سوء تفاهم يا شباب ، وماهينور من أخطأت ..
- ما قصدت أن تظن أنه هو من فعلها .
- فمه تريدون الآن !
- ضربته لأني ظننت أنه تحرش بي .
وشعر بالأعين تنغزه وهو غاض بصره فتحول عنهم وخطي دون تدبر نحو الشرفة وحاول فتحها إلا أن مقبضها لم يطاوعه .
'' لا تفتحها . التكييف شغال . ''

- دعه يدخلها كما يريد .
وفتحها له هاني وردها من بعده . وأنفرد ك بنفسه ، ووضع السيجارة بين شفتيه . وطالع أشجار الشارع . وعندها كان يسير بالأسفل شاب رفع رأسه عفوا وتلاقت أعينهم فتوقف للحظات . كان مجدور الخدين وقد تنقرت عينيه من جوع يتسكع دون هدي ، ثم أكمل . ودخل الفتاة وأعتذرت له . '' لو كنت مكانك لفعلتها ، سوء تفاهم كما قال . ''
وسعت لفتح حديث معه لكنه منشغلا عنها كان . رجعت وتلاها هاني بعد دقيقة . '' تمام ؟ ''
أوميء ك . '' فقط ماهينور هكذا ! ''
- ليس خطأها .
- نرجع الآن أم ننتظر ؟
- نعم . نرجع الآن .
وفي السيارة تحسس ك خده . وعرض عليه هاني أن يجلسا بكافيه : '' نصف ساعة نشرب فيها شيئا . ''
- لا ، أنا نعسان .
- أستطلع لتنام ؟
ولم يجبه ك . فتحت مدام بلسمة لهما وحيته فابتسم . وبالغرفة خاوية الأثاث أسترشد بهاني وطفقا يدهنا الجداران ، وغثت نفسه وأحضرت لهما كوبي نسكافيه فأقترح هاني : '' نشربه في الخارج . ''
وجلسوا في الصالة . '' قبل أن تأتيا بعشرة دقائق نامت بسيان علي قصته . ''
- نفكر أن ننشرها في كتاب ونسميه حواديت بسيان .

وضحكا وشاركهما إبتسامة . يحكيها للطفلة بيسان شاب قبل أن تنام ثم يفاجيء بها وقد نامت أثنائها فيقبلها ويغادر . ''ما لكما ؟"
هاني : '' لا شيء . ''
- ما لك ؟
ولم يرفع عينيه '' لا شيء ، مرهق فقط . ''
- أأكلت بيومك ؟
- نعم فعلت .
- بذمتك ؟
وكادت تنهض لكنه أستوقفها : '' أكلت والله ولن أقدر . ''
وأكملا عملهما . وخطي نحو الباب وبطرفه لمح إشارتها . '' ليس الآن يا بلسمة . ''
وبعد أن فتح الباب : '' سأمر عليك في الصباح فانتظرني . ''
- فقط لا تهيننني يا هاني .
- حاضر . آسف .
وهبط بالمصعد ثم تذكر فرقي به ثانية وجلب الآلة ورزمة الأوراق والساعة معه . وجلس إلي الطاولة . وساعة وساعتين وتخيل أنه يضرب جبهته بطرف الطاولة وحاول الإنشغال عن هذا الخيال لكنه أستلبد في ذهنه ولم يحل أي إلهاء عنه . نقر علي الآلة لكن عطب ذهنه عن أي تدفق . فقط هو يضرب جبهته بطرف الطاولة بتكرار . ورقي بالمصعد إلي الدور الرابع عشر ووقف أمام الباب ثم هبط بعد دقائق وحمل الآلة ورزمة الأوراق بذراعه وغادر البناية . وعرج علي شارع واهد فانتحي موضعا تحت شجرة ووضع الآلة جانبه وأرجع ظهره للجدار وضم بذراعيه ركبتيه لصدره وأسند رأسه إليهما .

قبل الشهر كنت أتغذي بثلاث جنيهات أو أربع في اليوم لأوفر ما في جيبي ممتدا مع الأيام واليوم أهديت غريبا ألف جنيه ليتفضل بضربي . كان أن جربت الخمر برفقة عمار في البار . عافته أحشائي بداية غير أني حملتها علي تقبله حتي تستسيغه . وأخذ هو يزرف بنسبة الكحول في ذاك وتلك كالخبير . جرعت منه ثلاثة أصناف . '' سنتدرج بك حتي ... ''
أيا يكن . لم أثمل لكن راق لي أن أدع نفسي متذرعا بسورة الخمر ، إلا أني كنت واع . '' نصيحة لك مني . لا تكتب عما لم تجربه ، كالخمر مثلا . ''
- وما فّعلنا الآن .
- أقصد لمن لم يذقه .. من آخر من كان يشرب البراندي في مصر ؟
- إيه ؟
- لا تهتم .
- ما يدور في ذهنك ؟
- قرارات مصيرية بشأن الكتابة يا صديقي منذ اليوم فقط ستكون .
- ما هي ؟
- نفسي المعنية .
- أتمني التوفيق .
- تمناه لنفسك .
ثم سألته لا لرغبة كانت : '' لمه حقد هتلر علي اليهود ؟ ''
- لا أعرف .
- أليس الإنسان إنسانا في الأول قبل الأخير .

- صحيح .
- لا يصح إلا الصحيح .
- صحيح .
- وإن واجه شيء الإنسانية فالنزعة للأخير .
- صحيح أيضا ، يكفيك هذا .
- لا تكفني شواهق الجبال .
- لتقدر علي الرجوع .
- نحن رجال !
- نعم !
- نحن رجال ! .

وأخذنا سكوت ولم أرفع عيناي عن الكوب . '' متع نظرك . ''
ألتفت لإشارته أمامنا ورأيتها ، وكانت بديعة لأنها في الأصل امرأة . لكني صدقا كنت في نظري أستهدف عينيها ولا سواهما . وتلاقت مع خاصتيّ في لمحات . '' تنفع كممثلة بورنو ! ''
استأت وأنبته وطلبت أن يعتذر . لم يفهم عليّ لكنه جاراني بعد تكرار رجائي وأعتذر لي عما تفوهه في حقها . '' ألم تخبرني أنك ستقدمني لفتاة قريبا ؟ ''

- ليس من هذا المكان . لكني أعرف من أقربك منها .
- وقلت أنك قادر علي الخطوة الأولي تجاه من تعجبك .
- ليس الآن علي الأقل .

غمزت نحوها . '' ألا تري الهضبة الذي معها . حتي أني أخاف أن يظبط عيناي عليها ! ''

- وماذا سيفعل .
- سيعجنك لا أكثر .

ولم أقبل بهذا وقمت عن الكرسي فأمسك كتفي بيديه . '' الحياة قصيرة . ''
- ليس هذا وقتها .
- أنا مسئول عن تصرفاتي .
ودرت حول البار تجاههما وقبل أن ، سألني هو إن كنت ثملا فهززت رأسي فطلب أن أقلد حركة فعلها بأصابع يديه علي الطاولة ففعلتها وتحذرت بطرفي أن يضرب عليهم ليؤذيني بيد أنه لم . '' إذن فأنت في وعيك . ماذا تريد ؟ ''
أخرجت من جيبي ثلاث عملات من فئة المئتين '' تريدهم ، مقابل خدمة ؟ ''
- زد عليهم إثنين وقلها .
قدمت له خمس ورقات . '' أشعر بالخنقة . ''
- وكيف أساعدك ؟
- نخرج للخارج وتضربني فقط للتجربة .
وتناول المال '' هكذا فقط ! ''
- أنت بحاجة للمساعدة والتقويم .
- ما أفعله للتسلية وكسرا للعادية لا أكثر ، لست مريضا . مجرد خاطرة فلما لا .
- أنت بحاجة للمساعدة والتقويم .
وناداني الآخر وقد سبقني فكففت عن مبادلتها النظرة ، وتقدمته . وقلت لعمار : '' سنحل المشكلة في الخارج . ''
- سيفرشك علي الأرض .
- امسك الخشب .
- حاول أن تخرج منها قادرا علي المشي .

- لا يشغلك هذا .
وفي الخارج كان ليل وسكون بلا مارة . '' ابعد عن وجهي وبطني ولا تضرب بغل . ''
غدر بي وطرحني أرضا للخلف بساقه ولكمني بيسراه في صدري . '' كفاية . ''
وبأخري في ظهري كأنه يقنع نفسه بتمام ما أداه ورجع للداخل .
نهضت بعد دقائق وتلفت فلا أحد . تفوهت متوهما كوني في ذروة مشهد تمثيلي : '' you know why .. you know why .. because I'm the god in the fucking earth . ''
كررت هذه العبارات وأخر بانفعلات متصاعدة حتي تشنجت عروق . في خبل وتيه بالعظمة كنت . '' ما هذه البقعة السوداء علي قميصك ؟ ''
- طفح قلبي .
- روح للحمام نظف نفسك .
- أنا مرتاح في هذه اللحظة هكذا .
ورفعت عيناي فرأيتها تديم إليَ النظر ، فغضضتهما ولم أرفعهما . إذ أني لو فعلت ولمحتها قد حولت عيناها عني لحظة فسأتخيب . لذا فقط كانت تديم إليّ وأنا أتنفس برويدة . ووددت إستدامة هذا الوضع أن يكون نهاية .
أفاق ك من نومه ووعي ما هو كان قد غفي في العراء وكانت الشمس في السماء ، لكن لا أحد بالشارع . نهض وتمطي وضحك عفوا . رفع الآلة ورزمة الأوراق . قمت بها وقضيت ولم يحصل سوء ، بل جد معمول أنشأه مرة التجربة الأولي . ليت

تكرارها يعاود إحساس هذه المرة لاحقا ، لكنه سيفتر بعد الثانية . ورجع للبناية . '' أين كنت ؟ ''

- ألمست هذه الساعة ؟

- لم أقاربها حتي .

ومضي للمصعد . '' انتظر . ''

- ليس الآن .

وصعد من الدور قبل الأخير للسطح . فتح الطرباس وأوصده من بعده . وتوجه نحو السور وتنفس تجاه البحر للحظات وعرج علي الغرفة وفتح القفل ودخل . طرقا علي باب السطح سمع فوضع الآلة ورزمة الأوراق والساعة علي السرير وخرج من الغرفة وفجا الباب . '' ماذا ؟ ''

- انزل وكلم حمدي يريدك .

- فيمه يريدني ؟

- علم أنك تركت المدخل .

- كنت مع الأستاذ هاني في الليل .

- لم توقع علي إنصراف في الدفتر .

- أقلت له ؟

- لا . هو يراه كل يوم عند حضوره .

- كان يمكن أن توقع أنت عني .

- لو فكرت فيها لفعلتها صدقني ، لم أنتبه .

- لا تقل له أني رجعت الآن .

- يعرف أنك لم تكن بالبرج .. طلعت لأناديك ولم أجدك .

- أدخلت الغرفة ؟

- كان القفل مقفولا . انزل له .

- طيب . روح أنت وسأنزل .
وهبط عنده . '' سأعطيك أجر عمل ثلثي شهر . ''
- بل إثنين وعشرون يوما .
- وما المؤكد أنك عملت بالأمس ، بل حتي العشرون !
- إثنين وعشرون يوما عملتها في البرج . اليوم فقط غادرت مكاني بعد الفجر .
وتلاقت أعينهم . '' طيب . عن إثنين وعشرون يوما .. أخطأت عندما وافقت عليك للوظيفة بضمان الأستاذ محسن دون أن أري فيشك ، وقد قال لي هو وترجاني . ''
- نعم .
- هات مفاتيح غرفة السطح . وغادر اليوم .
- سأعطيها له لاحقا ليست معي .
وأخذ منه المال ونزل إلي العامل الآخر . '' أنا أصلا كنت قد قررت ألا أعمل بعد الشهر ، لا تهتم . ''
ثم : '' قل له أنك أخذت المفتاح مني وسأغادر . وسأبقي للغد من ورائه . ''
- وبعدها معك !
- إيه ؟
- أعرفك . ماذا ستفعل ؟
- سأنتظر الصباح لأكلم الأستاذ هاني قبلها . ماذا تقصد ؟
- طيب . أفطرت اليوم ؟
رقي بالمصعد وأوصد باب الغرفة . وضع الآلة جانب السرير وتمدد والساعة جوار أذنه وحاول النوم . آخر يوم في البرج ، لا

يهم . وعقرب الثواني يدق . آخر يوم . مدام بلسمة ، بيسان ، هاني ، رغدة ، والعامل الآخر سندوتشات ، وهويدة ونوران .
أخذ كفايته من النوم سابقا . أكل السندوتشات ، سأودعها في الصباح .. آخر يوم . تمدد ووترته دقات الساعة فرماها نحو الكنبة بين الوسادات . وحين الغروب راقبه من السطح وتضايق ولمح مفرش السرير القديم والبراد وأكواب فتناولها وألقاهم بداخل الغرفة علي الكنبة وهبط بالمصعد ، وبحث في الشوارع عن كيس كبير الحجم فلم يعثره ثم أشتري من البقالة وطلبه وعاد به للغرفة . وفي التاسعة مساء هبط بحمولته من أكياس صغيرة وقصد المسجد وأفرغها في دورة المياة ورجع للبناية ورقي بالمصعد حتي الدور قبل الأخير وخرج منه لكنه أستوحش أن يقضي ليلته في الأعلي وجلس علي درجة السلم الثالثة وأخرج علبة التبغ ولف سيجارة وضعها بين شفتيه . وبعد ساعة صعد للغرفة ونزل للمدخل بالآلة وجلس علي المكتب . لا ملل فهي آخر لياليك في البرج ، بل حاول أن تكون سئما منه . جهد أن ينقر علي لوحة المفاتيح إلا أنه تعثر في إتمام جملة . بعد ساعتين نعس فرقي بالمصعد ونام حتي بعد منتصف الليل ، ولم يبارح غرفته حتي طلوة الصباح ، وطلع يتنسمه . سيودعها ولن يحول عينيه عنها . وحين الثامنة صباحا عزم ورفع الآلة ورزمة الأوراق وكيس الملابس وهبط إلي الدور الرابع عشر ينتظرها . خرج هاني يصطحب بيسان . '' نزلت لك الساعة الواحدة لأتكلم معك . ولم أجدك . ''
- سأمشي الآن من البرج .
- لمه هذا ؟

وتلاقت عينيه مع بيسان فتدارت خلف هاني وأبتسم . '' لم أسجل رقمك بعد . ''
وأملاه . '' ماهينور طلبته مني إمبارح . ''
هز ك منكبيه لا يجد ما يرد . '' اتصل بي وطمني عليك . ''
- سأنتظر مدام بلسمة لآخذ منها ورقي بعد أذنك .
- ماشي .. لا تنسي أن تتصل بي .
وكانت آخر نظرة لبيسان . '' أنا ماشي يا مدام بلسمة . ''
- ماذا حصل ؟
- هكذا مع حمدي بالأمس .
- ابقي وأنا سأكلمه .
- لا .. سأمشي فقط ، ولرغبتي . كنت أنتظر حضرتك لأسترجع الورق قبل رحيلي .
- ألا رجعة عن رحيلك ؟
لم يحر ك ردا . '' تعالي ، اتفضل . ''
وفتحت الباب مجددا ودخلا ، ولم ترده خلفها . جلس علي الكنبة ينتظرها ووضع الآلة ورزمة الأوراق ، نظر نحو الباب الموارب لحظة . وعادت هي وناولته الأوراق . '' انتظر . ''
وغابت مرة أخري . ثم رجعت بكوب عصير ليمون بارد وجلست أمامه . '' علي مهلك . ''
- أنا فقط أحب عصير الليمون .
- أأصب لك آخر ؟
- لا . كوب واحد يكفيني .
- قل لي ماذا حصل مع الأستاذ حمدي ؟
- أبدا . شدينا علي بعضنا في الكلام ، وقد كان .

- وماذا ستفعل ؟
- لا أعرف .
- الآن ؟
- لم أخطط لشيء .
- أستبقي في الغردقة ؟
لم يجبها .'' حضرتك من كنتي تقرأي كل القصص علي بيسان ؟"
- أنا وأحيانا هاني .
- أتقرأيها أولا قبلها أم تحكيها مباشرة ؟
- صراحة كان هاني ينظر فيها . لكنك لم تكتب ما لا يتناسب مع عمرها .
- نعم . أخذت حذري في هذا .. سيفرق معي هذا حقيقة أكانت تعجبها فعلا ؟
- نغريها بها للتبكير في النوم . وكانت تلح أن أحكيها في غير وقتها فلم أوافق ، عند النوم فقط تسمعها .
- ألم تملها ؟
- بل تعلقت بها . حتي أني وهاني أسميناها حواديت بيسان .. لم تقل لي ماذا ستفعل ؟
- حضرتك مستعجلة ؟
- لا . عشرة دقائق أخري .
مد لها الورق : '' احتفظي بها لبيسان . ''
- ماشي .
- ممكن أطلب من حضرتك أن تكتبي لي علي الآلة ، الآن قبل رحيلي ؟
- للذكري تقصد . رسالة مثلا ؟

وافقت . '' ولكن اقرأها لاحقا . ''
ونقرت بأصابعها الدقيقة علي لوحة المفاتيح ، وتناعست عينيه . ولما أنتهت سحبت بأصابع يمناها مقدمة الورقة من المثبتة فتكرمشت عند الموضع ولم تقرأها بل ثنت الورقة بأبهاميها وطوتها بأصابعها وشدت طرف الثنية بسبابة وإبهام يسراها ومن عندها بسبابة وإبهام يمناها ضغطت علي الطوية حتي طرف الثنية الثانية بعناية ثم ثنتها أخري وكررت الضغط بالأصبعين حتي تطبقت الورقة وعليها بصماتها ومدتها له وهزت رأسها لتزيح خصلات شعر عن جبينها ، فتناولها منها وأسكنها جيب الجاكت الأيسر وجلس . وأخفض رأسه . '' ما لك ؟ ''
- أنا فقط... كنت في السنوات ال.. وأحاول أن...
- نعم ..
- لا أعرف .
- خذ راحتك في البكاء .
- ستسأل بيسان عن القصص وستحزن لإنقطاعها . هذه خيبتي .
- فهمت .
رفع عينيه لوجهها . '' ليست نهاية العالم . ''
- أعرف .
- سأخبرها أنك تعد لها قصصا جديدة ، وفي يوم من الأيام ستزورنا وتعطيها لها . ستفعل ؟
- سأحاول .
ونهض فأشارت له أن يعاود الجلوس . '' لا ، عليّ أن أقسو بنفسي . ''
- ربما فكرة أنك تقسو علي نفسك عن البكاء هي ما يرغبك فيه .

- سأفكر في هذا .
وصافحها . أقفل الباب خلفه وهبط بالمصعد . '' ستوحشني ! ''
- فعلا ؟
وضع ما يحمله جانب الكاونتر وألتفت تجاه المصعد وأوسد نحو السلالم يتداري حتي لا تلفاه بعبورها . رجع . '' سألتني عنك فقلت أنك جريت للتو وطلعت السلم . ''
رمقه ك فضحك هو : '' لم أفهم ، رأيتك تجري فجأة وسألتني عنك . ثم أنها رأت حاجاتك . ''
- وماذا قالت ؟
- خرجت دون أن تتكلم .
ورد له سلفته . '' دقيقة وسأرجع . ''
رقي ك بالمصعد حتي الدور قبل الأخير ومنه إلي السطح ولاحظ حفشة تبغ منتثرة علي الدرجة الثانية من السلم في صعوده فتوقف ونزل الدرجات الثلاثة التي تخطاها وأخرج منديلا وانحني يلملمها . عندها تناهي لسمعه صوت عزف البيانو . خطي نحو باب الشقة اليمني وأصاخ السمع . كان العازف يعيد نغمته المنقوصة ويحاول أن يؤلف لاحقة لها متصلة . وفي النغمة كانت لحظة تداع ما تبغي النفس مجاليتها لتتشبعها ، أغمض عينيه . وكان ظلاما في رأسه ، والنغمة بريق نور رفيع متموج يرتفع باضطراب للحظتين وينحرف بعدها يمينا ويسارا في عصبية وفجأة ينخفض ويتئد حتي لتظنه يخبو ثم يعلو علي غرة كأنه يسعي للذروة ويتلاشي قبل وصولها . لأن العازف يرغب نغمة منسجمة تتبعها لا غير . مرات ومرات ومحاولات وعدم توافق فمعاودة ، وأمسك عن العزف . وترهف خطواته نحو الباب

فسارع بصعود السلم وألقي نظرة من عند بسطته ، وكانت رغدة . وأكمل للسطح يعيد النغمة في ذهنه ليرسخها بوعيه وفتح الباب ولم يوصده خلفه . الآن ، لو في السابق لأمضيت أطراف ليلاتي وإشراقات أصباحي مقرفصا عند الباب أتلهف . ووقف وسط السطح ، لمه صعدت ؟ قد صعد لهنا لسبب . ربما إحساسا ما كانت لا فكرة محددة ، لكنه عماها عنه - ولو إلي حين - بمحاولته الإبقاء علي النغمة في ذهنه حتي اللحظة . ولم يبالي بتذكرها فأوصد باب السطح خلفه ونزل للدور قبل الأخير واستدعي المصعد ودخله ، وهبط المصعد بك .

تمت
٢٩ / ١٠ / ٢٠١٧ م